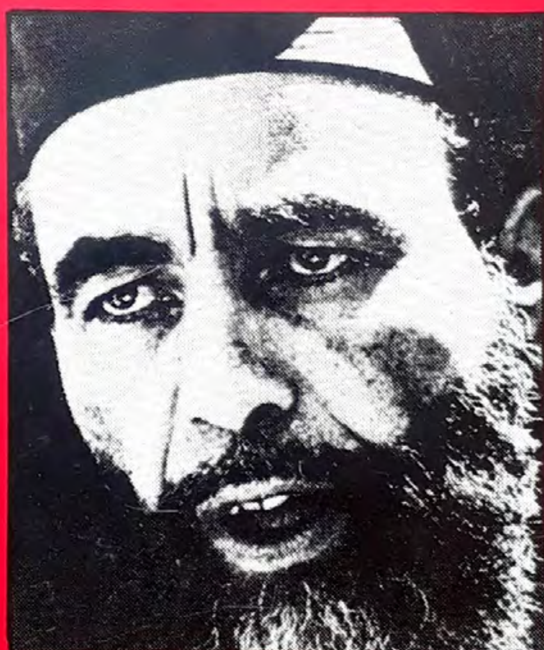
مع ملف كامل: الوثائق والصور

دار ابن رشد

كبوشي



وثيقة حياة ونضال
المطران إيلاريون كبوشي
من الطفولة إلى المنفى

إعداد وتقديم:
حيدر حيدر



كبوشي

وثيقة حَياة ونضال المطران إيلاريون كبوشي من الطفولة إلى المنفى

اعداد وتقديم:
حيدر حيدر

دار ابن رشد للطباعة والنشر

نيسان ١٩٧٨

هـذه الوثيقـة

بعد الافراج عن المناضل ايلاريون كبوشي الذي أمضى في سجون الاحتلال الصهيوني ثلاث سنوات ، انطلقت صيحة فرح من اعماق كل التقدميين والوطنيين في الوطن العربي والعالم اغتباطا بخـلاصه .

فمنذ اعتقاله ومحاكمته والحكم عليه بالسجن اثني عشر عاما ، والراي العام العربي والعالمي يندد ويحتج على الوسائل والاجراءات اللاشرعية التي خرق فيها الاحتلال الاسـرائيلي كل القيم المدنية والروحية ابان وبعد اعتقال كبوشي : مطران القدس .

وهكذا برزت ، في مرحلة حادة من مراحل احتدام الصراع العربي ـ الاسرائيلي ، قضـية يمكن تسميتها بقضية ايلاريون كبـوشي .

قضية رجل الدين المنخرط بالثورة .

ان اهمية هذه القضية واشارتها العميقة ، تتخطى البطولة الذاتية ، وبسالة اللاهوتي الملتزم ثوريا ، الى اشارة اعمق تكمن خاصيتها التاريخية في جوهر البطولة الجماعية لشعب قرر الموت او النصر واقفـا .

في هذا السياق الذاتي ـ الموضوعي تأتي وقائع حياة ونضال

ايلاريون كبوشي ، رجل اللاهوت المتشح بالثورة وفلسطين ، وثيقة ادانة للاحتلال الصهيوني ، ووفاء ثوريا للفرد المكافح عن وطنه .

وهكذا عندما ذهبت لمقابلته في روما ، كان في ذهني هذا الخط البياني الصاعد من الذات الى الموضوع .

وخلال حوارنا ، الذي استغرق اكثر من عشـــرين مقابلة منفردة مع لقاءات جماعية متفرقة ، كنت استمع اليه مكتفيا بطرح اسئلة قصيرة داخل مدار الخط البياني المرسوم .

ان هذه الوثيقة ــ الوقائع التي يقدمها مطران القدس ، السجين ، والمنفي ، ليست بالتأكيد كل شـــيء عن الرجل ــ القضية ، ولكنها شيء من الضوء والحالة عنهما .

وهذه الوثيقة ــ المواقف ، الموجهة اساسا الى ابن الشعب العـــادي ، تتسم ببساطة وواقعيـــة كبوشي . الرجل الهادىء والغاضب معا ، والذي يرى الاسطورة الفذة في اعماق الشعب الفلسطيني والعربي لا في شخصه كفرد .

« انا لست اسطورة كما يتصور المولعون بالاساطير الفردية . انني انسان بسيط من هذا الشعب المكافح رايت الخـــير والحق والعدل يوطأ فصرخت في وجه الشر » . هكذا يعبر ابن الشعب البسيط ، ويفعل .

والفعل ابدا كان يتجاوز الكلمات .

ان التعبير الحـــواري ــ التحليلي المتبع في سيـــاق هذه الوثيقة ، محاولة متواضعة لتقديم صورة متناميـــة عن شخصية كبوشي غير العادية منذ الطفولة .

لقد ركزت على الطفولة الاولى لاعتقادي انها حجر اساسي في البناء المستقبلي ، ولكنها ليست الاساس كله .

ان هذه الطفولة المتموجة بين الغضب والحب ، وبين العنف والحنان الانساني ، يمكن ان تكون احد المفـــاتيح للدخول الى شخصية الرجل الذي مزج اللاهـــوت بالسياسة مولدا منهما اطروحته وقضيته التاريخية .

سأسجل انه كان مثالا للصدق والجراة ، وهو يقدم لي وقائع هامة وخصوصية من حياته ، بمطلق الثقة . كما انني سأسجل ان هذه الوقائع المكثفة التي اختار المطران المناضل القـــاء الضوء عليها ، تؤسس لمواقفه العملية بما هي شهادة فعل تاريخي ، اكثر عمقا وتأثيرا من الجدل الايديولوجي النظري .

لقد قطعت على نفسي عهدا ان ارسل له المخطوطة قبـــل طباعتها ليرى رأيه فيها ، لكن سفره المفاجىء الى امريكا اللاتينية بينما المخطوطة تأخذ طريقها الى النشر ، خلخلت العهد .

اخيرا . تبقى بعض الاسئلة .
هل كرمنا ايلاريون كبوشي ووفيناه حقه نحن العرب ؟
اذن ! لماذا ما يزال رهين كابوس المنفى بعد كابوس السجن؟
ولماذا لا نستطيع ان نراه بيننا ، على الارض العربية التي ضحى من اجلها ؟

لماذا كتب على العربي في هذا العصر أن يكون اما سجينا او شهيدا او منفيا ؟

حيدر حيدر

مدخل

عندما ولد في ٢ اذار بمدينة حلب السورية عام ١٩٢٢ كان اسمه « جورج » ، وعندما صار مطرانا للقدس العربية لطائفة الروم الكاثوليك عام ١٩٦٥ ، صار اسمه « ايلاريون » .

وفي ١٨ آب عام ١٩٧٤ عندما اعتقلته سلطات العدو « الاسرائيلي » بتهمة تهريب الاسلحة للفدائيين ، والانتماء لمنظمة « فتح » ، صار اسمه « الفدائي الفلسطيني » .

اجل . هو الراهب المسيحي ، الوفي لتعاليم سيده في الحب والسلام . وهو في اللحظة نفسها المناضل ، وعاشق الارض الفلسطينية . سجين عذاب الفاتحين ، و « أسير الغزاة البرابرة » كما صرخ في وجه جلاديه آبان المحاكمة .

ايلاريون كبوشي ، وريث عذابات وجراح المصلوب وفادي البشرية ، يتحول في عصر البرابرة ، وتجار الهيكل ، ومصاصي دماء الشعوب ، من راهب في كنيسة ، الى مقاتل ، فسجين ، فمنفي .

ايلاريون كبوشي ، والتهمة انتماء للثورة ، ونقل اسلحة ومتفجرات للفدائيين الفلسطينيين .

يا للتهمة ـ الوسام ، ويا للتهمة ـ الشرارة . التهمة ـ الشهادة المودية الى درب الصليب .

هكذا يصعد الراهب الثوري من ادراج الكنيسة الى مرقى البنادق ومخازن الاسلحة ، ليتعمد بالنار المقدسة . انه يرتقي الى مستوى العصر المتفجر : عصر الفدائيين وعصر الحروب الثورية .

وهكذا ، ليكون الانسان جديرا بشرف حياته في عصور الطغاة والبرابرة والغاصبين ، عليه أن يتماثل بالشجر الواقف . والشجر الواقف الان قامات الاجساد الفلسطينية الشامخة في ازمنة العار والذل والاغتصاب . هذه القامات التي تهوي وترتفع تحت وقع السياط ولفح النيران واختراق الرصاص ، وطعنة الخيانة .

وايلاريون راهب القدس والبلاد التي تمتشق الاسلحة كان جديرا بحياته ووفيا لميراث الفداء والدم . تماثل مع الشجر المنتصب ، وقامات الرجال التي تصد في اللحظة الراهنة ، رياح العار والخيانة والموت عن الارض الحزينة .

لقد قال بصوت عال في محكمة الغزاة :

« انني اقدس ارضنا التي تعرف باسم فلسطين ، والخزي والعار لاولئك الذين يدنسون ارضنا . القدس عربية وستظل » .

هذا هو ايلاريون العربي اذن ! الابن البار للعصر الفلسطيني . الفدية والشرارة التي تضيء كبرق يخطف ابصار الغزاة . فأي تحول خطير ، بل اية قدوة مستمدة من روح الفادي الاول عدو الأباطرة ، أن تتحول الكنيسة الى مدرسة لتخريج المقاتلين !

ان جوهر هذا التحول يكمن في قطبي التناقض بين العسف

والاضطهاد الاسرائيليين ، وبين المقاومة الاستشهادية . وعبر جدل هذين القطبين تتجلى القدرة التفجيرية لعصر الثورة الفلسطينية . العصر الذي يضع العربي بين اختيارين لا ثالث لهما : المستنقع او القمم .

ولقد اختار ايلاريون كبوشي كانسان منذور للصعود ، طريق القمم .

وفي عصر الثورات والمذابح والحروب الاهلية ، حتى الرهبان يتنكبون البنادق تحت الاوشحة الكهنوتية .

هذا ما قام به « كاميلوتوريس » الراهب الكولومبي ، عندما وجد بلاده تحت حكم الاوليغارشية وطغمة الامبريالية والرأسماليين :

« ولهذا وجدت ضروريا من اجل رسالتي الكهنوتية ورسالتي الثورية، ان ابرهن عن استعدادي لخدمة قضية الشعب الكولومبي ، لذا، فعندما طرحت علي المعضلة التالية : الاستمرار داخل النظام الاكليركي ام متابعة النضال الثوري ، لم يعد بوسعي ان اتردد والا اكون قد خنت الثورة . قد خنتكم » .

ويقول ايلاريون كبوشي : **« عندما طفح الكيل وبلغ السيل الزبى ، وفشلت الاساليب السلمية ، لم يبق الا العنف »** .
لقد لخص في عمله من الاعتقال حتى المنفى ، وعبر سلسلة من المواقف البطولية ، حياة تخطف الف حياة عادية .

وما كان رجلا عاديا .

استثنائيته انه رجل دين ، وحد بين الدين والثورة ، صانعا منهما مركبا جديداً يتحدى السائد والمألوف .

ان معجزة الثورة بما هي حقيقة وصائبة ، انما تكمن في هذه القدرة الخارقة على دفع رجال الدين الشرفاء للخروج من وقار

الوعظ والسكينـــة والسلام الهادىء ، الــى ارض النار ونبض الاسلحــة .

وما هي الثورة ان لم تكن هذا الاستثناء الخارق الذي يؤكد القاعــدة !

لقد تبدت قضية أيلاريون كبوشي في بدايتها ، وكأنها حالة عادية لرجل دين دفعه ايمانه الانساني لمساعدة الفدائيين في لحظة ضيق . بدت المسألة وكأنها نوع من الورطة العفوية ، تحولت خلال المحاكمة الى نوع من الدراما المثيرة .

غير أن مجرى المحاكمة ، ورفـــع اشارة النصر في وجه الجلادين ، وصرخته في المحكمة : « لستم اكثر من لصوص وقتلة ومحكمتكم غير شرعية . القدس عربية وستبقى عربية » ، ايذانا بأن رجل الدين دخل مدار التاريخ والثورة .

لقد كان الراهب فدائيا اذن ، وها هو ذا يرفع راسه عاليا بهذا الانتماء العظيــم .

حدث ذلك كصخرة تقــذف بها بحيرة راكدة . وها هــي الدائرة الاخيرة تلطم الضفاف . ان العاصفة تهدر . والبرق ينذر بالرعد ، وها هي الارض تهتز بضربة الصاعقة .

الثورة الفلسطينية وحدها كانت البرق والرعد في ليل العرب الحالك ، وايلاريون كبوشي ينزل على اسرائيل كضربة صاعقة .
لقد فاجأهم في غفلة من امرهم ، المسيح الذي صلبوه ، مرة اخرى .

وفي الهيكل الذي حولوه الى تجارة وصيرفة للامبريالية ، جدل سوطا وضرب بلا شفقة الذين دنسوا بيت ابيه .
أيكون المسيح قــام ؟
هو الذي يتجسد الان ابنا بارا ، للفادي الاول . ابنا ممجدا

للثورة التي قامت !

كان قد شبه لهم أنه مات فكيف ينهض الموتى ؟

وها هم بعد نصرهم في هزيمة حزيران ، يستكينون لموت العرب . استكانوا للمشهد الخارجي للعرب وهم يترنحون تحت رياح الانكسارات والشتات القومي ، وقالوا : ها هم العــرب يعبرون عصور الانحطاط وهذه الدورة التاريخية للعبرانيين .

لقد كنا وما نزال في العصور المنحدرة . عصور التخــلف والشتات ونوم العقل والاقتتال الداخلي ، ولكن هذه العصور ليست سرمدية ، ولم تكن احتكارا لنا . الشعوب كلها والتي نهضــت سقط سيفها زمنا . غير انها كانت تستيقظ وتنهض رغم الجــراح والظلام ومحاولات الابادة ، لتتناول سيفها الملقى .

لقد نسوا في نشوة غطرستهم وانتصاراتهم ، ان عنقاء النار كانت تنهض دائما من رمادها .

نهضــت من رماد حــــرائق المغول والصليبيين والاتــراك والاوروبيين ، وها هي ذي الان تنهض مــــن حرائق الامبرياليين والغزاة الجدد .

هكذا كان فعل الموت الخارجي ، يولــــد مفاعل الحياة ، والتشبث بجذر البقاء رفضا للانقراض .

ترى من الذي كان يصدق ان اولئك اللاجئين التائهين مــن سكان المخيمات البائسة ، أولئــك الذين ضاقت عليهم الارض وقلوب العرب ، سينهضون ويشعلون الارض ، ويقلقون ضمــير العالم بعد ذلك الهجوع الطويل !.

ثم من كان يصدق ان رجلا مــــن كنيسة المحبة والسلام ، سيمتشق الاسلحة يوما ، ليوجهها الى صدور الغزاة !

انها معجزة الثورة الفلسطينية التي نهضت من بين الحرائق والانقاض ، وارادة الامة التي تنتفض لتواجه تحدي الموت .

لنستمع الى صوت النازية الجديدة . صوت سبارطة الحديثة وقد اخذها النصر . يقول « هرتزل » الاب الروحي للصهيونية : « ان جنسنا اكثر فاعلية في كل شيء من باقي شعوب الارض » .

ويقول شيمون بيريز وزير الدفاع الاسرائيلي بعد حرب الـ ٦٧ : « ان اسرائيل تجد نفسها مضطرة لانماء قوتها وتطويرها لكي تحرز الانتصار الساحق في اي حرب تخوضها ضد اعدائها العرب . وقد حرصت منذ انشائها على استغلال معظم مواردها وقواها وادمغتها وعناصرها البشرية لمضاعفة قوتها العسكرية وضمان تفوق جيشها الذي لا يقهر والذي ينبغي له الا يسمح بهزيمة اسرائيل بأية حرب » .

لقد ولدت فيهم حروب النصر ، حس التفوق العرقي ، كما كانوا مأخوذين بخرافة شعب الله المختار ، والجنس اليهودي العبقري الذي لا يغلب .

ولانهم داهموا العرب في لحظة غيابهم التاريخية ، وفي زمن شتاتهم وتألب الاعداء عليهم ، توهموا ان شمسهم اشرقت بغروب شمس العرب الآفلة .

وهكذا على مدى ثلاين عاما اقاموا وليمة الفتك . مارسوا عمليات الابادة ، وحاولوا افناء الشعب الفلسطيني ، وهودوا الارض لاحياء وعدهم الميثولوجي الخرافي القديم عن « ارض الميعاد » و « النسل المقدس » الذي قال عنه بن غوريون : **« انني اؤمن بتفوقنا الخلقي والفكري بحيث يستخدم كنموذج لاصلاح الجنس البشري » .**

لقد كانت الاعوام الثلاثون ، سنوات حافلة بالمآسي واغتصاب

الحق الشرعي ، ولكنها في الان نفسه كانت خميرة اليقظة والنهوض واثبات ارادة الحياة في اعماق الشعب العربي . ولعل المأثرة التاريخية للثورة الفلسطينية عبر سنوات المحنة والصراع الدموي، انها كانت الجذوة المتقدة والمفاعل الدينامي لحركة التحرر الوطني العربية ، كما كانت بوصلة التوجه نحو الوحدة العربية في ميدان المعركة .

واذا كان تاريخ الشرق والغرب في الازمنة السحيقة ، تاريخا دينيا ، بمعنى ان الصراع السياسي كان يرتدي ايديولوجيا الدين ، الا ان الصراع في الازمنة الحديثة أخذ شكلا اخر .

فعبر الحقب التاريخية ، ناضل العرب المسلمون والمسيحيون ضد الغزاة المسلمين والغزاة المسيحيين ، من الاتراك والصليبيين ، وعبر هذا النضال كانت القومية بما هي دفاع عن الحرية والشعب والارض ، هي الاساس والجوهر . وهكذا فالازمنة الحديثة تصلنا بالازمنة القديمة في ملحمة صراع العرب المضطهدين مع اسرائيل الغازية . اسرائيل الصهيونية نتاج عصر الامبريالية العالمية .

لقد اقام الامبرياليون الكيان الصهيوني في فلسطين درعا لمصالحهم الاقتصادية واحتكاراتهم ، ومخفرا متقدما للعدوان حل محل الجيوش الاستعمارية المحتلة ، مشكلا جدارا غريبا معاديا لفصم عرى الشرق العربي عن مغربه .

هكذا ولاول مرة في تاريخ الصراعات الدولية ، وفي عصر صعود الراسمالية وتركيزها على الاسواق الاقتصادية الخارجية لتصريف سلعها وبضائعها ولاحكام سيطرتها على المواد الاولية وفي مقدمتها النفط ، يزاح بالارهاب المسلح ، ويجلى بالقوة الاستعمارية، شعب من ارضه ، ليحل محله شعب غريب تقذفت به الامبريالية

والصهيونية الراسمالية من وراء البحار .

لقد كان قيام دولة « اسرائيل » في الوطن العربي في الخامس عشر من ايار من العام ١٩٤٨ بمثابة برميل البارود القابل للانفجار دائما . كان الصاعق الذي سينعطف سريعا بمجرى كفاح حركة التحرر الوطني العربية ، ويطلق الطليعة المسلحة لهذه الحركة : الثورة الفلسطينية .

بذلك ، ولدت الاطروحة الرجعية (اسرائيل) ، نقيضها التقدمي المضاد : الثورة .

ان كلمة ايلاريون كبوشي في اجتماع لوجهاء الضفة الغربية قبل اعتقاله ذات مغزى منطقي عميق في هذا السياق : **«الاسرائيليون باضطهادهم ابناء الشعب الفلسطيني ، سيحولون المعتدل الى متطرف ، والمتطرف الى فدائي»** .

لكأنكما كان يشير الى تحوله الذي سيكون . لا لتحوله هو فحسب ، انما لتحول الارض العربية الى ارض مقاتلة انطلاقا من قانون الضرورة والدفاع عن الذات المهددة بالموت .

اللـــقـــاء

« الطفولة هي النواة . هي البذرة التي تحمل ملامح الشجرة . انها الحجر البدائي الـــــذي سيصنع منه التمثـــال » .

كبوشي

حمامة الروح القدس

فوق تلال مونت فردي « الجبل الاخضر » المطلة على نهر التيبر ، يقوم المصح والرهبانية الالمانية « سانتاماريا » .

بناء من الحجر الروماني الابيض والمصقول . مطوق بالاشجار والهدوء والضوء .

داخل هذا البناء يقيم ايلاريون كبوشي الخارج من سجون اسرائيل ، والمنفي الى روما .

نرتقي الدرج صاعدين الى الطابق الثاني . الراهبة المكلفة بالاستقبال تتقدمنا الى الصالون الفسيح .

الساعة تشير الى الرابعة عشرة . تقول الراهبة : المونسنيور قادم .

في الصالة صحفيون ، ومصورون سينمائيون ، واصدقاء ، وفي الصالة صمت ، وانتظار مفعم بحبور .

معظم الذين هنا سيفاجؤون لاول مرة بمشاهدة ايلاريون كبوشي : مطران الكنيسة وراهب الثورة .

كيف هذا ؟

هو وحده الذي اجاب على السؤال فيما مضى ، والذي

سيبرهن لماذا الكنيسة والثورة معا في اللحظة الراهنة .

من خلال الزجاج ، تبدو الحدائق والسطوح القرميدية لابنية روما القديمة. السطوح الرمادية الهاجعة تحت الضبلب الكامد . على جدران الصالون المستطيل لوحات ايطالية ، ورسوم للقديسين ، وفي الزوايا نهضت اشجار صغيرة خضراء حقيقية . وفي الرأس آلاف الاسئلة . تختلط وتتعارض . تدخل مدار الابهام والوضوح . الاقناع والشك ، الوهم والحقيقة .

ما الذي حـــدا برجل الله هـــذا الان يفعـــل ما فعـــل ؟ اكان مقتنعا بما قام به أم انه تورط ؟ كيف يتوحد الدين بالثورة والسلاح بالعنف ؟

وحتى التقيته لم اكن قانعا . لم اكن قادرا على فهم الانتماء الثوري لرجل اللاهوت . كانت المسألة تخلق اشكالا واختلاطا . كان هناك التباس يخرق القاعدة ويضع الانسان امام هذا الاستثناء الجاحـــد .

عندما فتح باب الصالون ، توقفت الاسئلة والابهامات ، هو ذا اذن !

رجل طويل مجلل بثوب الرهبان ، يتقدم بخطوات متسارعة. على وجهه اشراقة ابتسامة . يهلل ويفتح ذراعيه على مداهما : اهلا . اهلا . اهلا .

ايلاريون كبوشي حقيقة وليس وهما !

ويعانق الحاضرين واحداً واحدا . يعانقنا بشوق حي ، نابض من اعماق القلب .

الرهبة والجلال والتوجس امام العظمة القادمة ، يختزلها برحابة التواضع والمحبة المباحة للبشر كافة .

وبلا مقدمات او طقوس ، يكسر الحواجز التي رفعها الوهم. الرجل الذي رسمناه صرحا عاليا ومقدسا ، مهيبا وجليلا ، يتحول

امامنا الى انسان ينبض بالدم والفرح والشوق للقاء الناس الذين طال غيابه عنهم .

بعد التعارف يقول : الاخوان اخبروني عن مهمتك وانا بانتظارك .

ويضيف : اهلا برائحة الوطن . كيف حال اخوتنا جميعا هناك ؟

— بخير . اننا سعداء بخروجك . كيف أنت ؟

— كما ترى . ما زلت حيا . حمداً لله . فرحي لا حدود له برؤيتكم .

— لقد مضى زمن طويل على ذلك .

— اجل . اجل . زمن طويل ومظلم .

لم يكن متواضعا فحسب ، بدا مفتوحا من كل الجهات وهو يتحدث . لكأنك تعرفه منذ وقت طويل . هذا الانسان الذي تحبه لاول وهلة وهو يقدم الثقة وفيض المحبة باتساع كاتساع البحر .

كنا متقابلين . على صدره تتدلى الايقونة الذهبية للسيدة العذراء ، وحول بنصره يشع الخاتم الياقوتي الرعوي ، ومن وجهه يتألق الامل .

ان اثار السجن واضحة على وجهه الشاحب ، لكن عينيه ما تزالان تشعان كنجمتين في ليل . وهو يتكلم تتحدث كل اعضائه. يرتسم ذلك اوضح من خلال خطي الغضب العموديين في الجبهة.

خلال الحديث يرفع ذراعيه على امتدادهما نحو الاعلى. تندهش من بساطة هذا الرجل المتوهج من داخل . تلمح الطاقة الروحية وهي تتخطى هشاشة الجسد الذي عمده السجن .

هذا هو ايلاريون كبوشي آذن !

بدا يروي لنا بعض قصص السجن : قصة حمامة الـــروح القدس . لقد هرب من سجنه رسائله بطريقة سرية . بعض هذه الرسائل نشر في الخارج فاهتاجت السلطات الاسرائيلية ، وجاءه مدير السجن ليسأل عن الحقيقة .

قال مدير السجن : هل الرسائل التي ارسلتها حقيقية ؟
وقال له : ألم تقل انها نشرت في صحف العالم ؟
وقال مدير السجن : بلى .

واجاب : لا بد انها حقيقية اذن !

كان يروي مبتسما ، واثقا ثقة تلك اللحظة التي كان يخاطب فيها جلاده .

وسأله مدير السجن : ولكن هل ارسلت تلك الرسائل بشكل علني ؟

وسأله : هل مرت عليك ؟
فقال مدير السجن : لا .
ــ اذن ؟
ــ لا بد انها ارسلت سرا اذن !

واستمر يروي بمرح شامت : ما كان مدير السجن يتباله .

كان يحقق بطريقته المسرحية الخاصة . من خلال اجوبتي اللامبالية به ، وثقتي ، ادرك انني حر على نحو ما داخل الجدران المغلقة ، كما ادرك في اللحظة ذاتها ان هناك خللا في اجهـــزة مراقبته التي لا تعمل بشكل دقيق . احس بالامتعاض الممتـــزج بالحنق والكراهية . تفحصني بنظرة وعيد ثم سأل بهدوء الجلاد : هل ستشرح لي كيف تم الامر ؟

وقلت مباشرة : اتقسم بالله ان يظل الامر سرا بيننا ؟
كنت اعرف ان الرجل متدين . وقال : اقسم .

وقلت : تأتيني غدا صباحا في الخامسة تماما . وفي الوقت المحدد جاءني وطلبت منه ان يبتعد عن بوابة الزنزانة حوالـــي خمسة امتار .

بعد ان ابتعد رحت اشرح له : اسمع . نحن المسيحيـــين نؤمن بالثالوث المقدس : الاب والابن والروح القدس ، كما تعرف. ان الروح القدس تتجسد لدينا بحمامة بيضاء وهذه الحمامة تأتيني دائما . تقف على نافذة الزنزانة وتسألني ما اريد وما ارغب بعد ان تسلمني ما لديها من رسائل واخبار . وهكذا جاءتني في احدى الامسيات فسلمتها الرسائل التي كتبتها . هذه هي الشيفرة .

وامتعض مدير السجن . صرخ غاضبا : انت تسخر مني ! هل هذا يصـــدق ؟

واجبته ضاحكا : سؤالك عـــن سر الرسائل يعطي هـــذا الجواب . اتعتقد انني مغفل حتى اروي لك كيف ارسل رسائلي ؟ وانفجرنا ضاحكين .

في لحظة الاستراحة بعد رواية سر الحمامة البيضاء ، قدمت له هدية الاخ ابو عمار : شريطان مسجل عليهما اناشيد الثورة مع شريط عن مراحل نضاله واعتقاله وسجنه .

قرأ اهداء وتوقيع قائد الثورة على الاشرطة : « الى امير الكنيسة المناضل ايلاريون كبوشي مع محبتي وتقديري » .

بهدوء خاشع قبل الاشرطة كمن يقبل تراب فلسطين . قال : قل لزعيمنا وحبيبنا وقائدنا «ابو عمار» انني قبلت هديته المقدسة . هذه اجمل هدية وتذكار في حياتي . آه . ما اعبق رائحة فلسطين !

ومن عينيه شع بريق الغبطة وهو يتقرى الاشرطة ويفتحها. ملف المقابلات والمقالات مع الملصقات التي تتحدث عنه والتـــي حملتها اليه ، تصفحها وهـــو يبتسم بأصابعه وعينيه ولحيتـــه الوديعـــة .

وسألني عن مدة اقامتي في روما ، فقلت : انها مرهونة بلقاءاتنا خلال مهمتي . انا لست صحفيا . سأعد عنك كتابا خاصا وجديدا وهذا يحتاج وقتا وتفاصيل وحوارات ووثائق . انني اطمح الى معرفتك جيدا .

— اسمع . انا رجل واقعي اكره المبالغات وما فعلته امر عادي . انا لست اسطورة ولا اريد ان ابدو كذلك . في كل يوم هناك عشرات الرجال الابطال الذين يضحون بالدم وانا لم أفعل شيئا خارقا . آمل ان تكون واقعيا في كتابك وان اظهر على حقيقتي . قل لي : هل لديك مخطط عن الكتاب ؟

— مخطط اولي : الطفولة ، الكهنوت ، العمل الوطني ، الاعتقال ، المحاكمة ، السجن ، المنفى ، ما بعد المنفى . هذا مرتسم ابتدائي يمكن تعديله كما يمكن تخطي سياقه التسلسلي .

وقال بارتياح : عظيم . مبدئيا هذا معقول . انا هنا أسير ولله الحمد كما ترى . اسير الزيارات اولا والراهبات ثانيا . انتقلت من سجن الاعداء الى سجن اخر . ولا أصعب من الوقوع تحت سيطرة الراهبات .

الجملة الاخيرة قالها بروح فكاهية مميزة وهو يضحك . واستطرد : الاهل قادمون اليوم وفي المساء سجل المقابلات والزيارات مليء .

والتفت نحو الاصدقاء المحيطين به : انا احسدكم . انتم احرار . أما انا فكما ترون .

وابتسم بعذوبة فياضة مشوبة بحزن خفي . كان يطفىء الان لفافته الرابعة .

— غدا في الحادية عشرة . ما رأيك ؟

— حسنا . انما لنا لقاءات اخرى .

— بالتأكيد . غدا نتفق على البرنامج .

وانا اخرج من لقائه كان ما يزال امامي . الحضور المادي للرجل الروحي الذي اضاء تاريخنا في ازمنة الظلمة . رجل الدين المنحدر نحو الثورة ، انحدار الانهار الى مصب البحر .

بين ستار الدهشة والتوجس ، كانت كلماته البسيطة الممزوجة بالوداعة والغضب ومرارة التجربة ، ما تزال تدوي .

ومن الاسطورة الى الواقع ، ابتدأ الذهول يتحلل الى مواده الاولية . المواد التي تدخلك في الوقائع التاريخية وهي تصنع الكتلة المتراكمة على مدى التجربة والزمن .

هذا الرجل البسيط المتواضع ، العادي .

هذا الرجل غير العادي !

الكاهن المقاتل الذي ارتدى تحت وشاح الدين ثوب القتال ، هوذا يوحد بين الكنيسة والوطن ، لاغيا التعارض القديم السائد ، محولا الله الى محبة ودفق فدائي في ازمنة اغتصاب الاوطان .

المرحلـة الخطـرة

ــ هل نبدأ بالطفولة ؟

وقال : ولماذا لا ! الطفولة نواة الرجولة .

نحن مع النواة . مع حبة القمح التي تختمر في اعماق الارض والتي ستحمل ملامح السنبلة .

الزمن عام ١٩٢٢ والمكان مدينة حلب ، وسوريا تنتفض على المستعمرين قاذفة في وجوهم شرارة الثورة الوطنية .

لقد ولد الطفل جورج بشير كبوشي بينما الوطن يعبر بالدم مخاض الاستقلال .

ــ هل كان ذلك صدفة ام قدرا ؟

ــ ربما . الان وانا اتذكر ولادتي ربما ارى لذلك معنى . نحن كرجال دين لا نؤمن بالعبث . لكل ظاهرة معناها والله وحده يعرف سر المعنــى .

كان الاوسط بين اخوته الثلاثة . كذلك كان الديناميكــي والمشاغب والاصعب مراسا . ومع ان العائلة والام خاصة كانت متدينة ، واخلاقية ، الا ان جورج الطفل كان يثير المتاعب ويخرق قواعد الوداعة والهدوء والانضباط عبر اشتباكات مع اولاد الحي وتلاميذ المدرسة . كان ناظر المدرسة يقول عنه : اذا كانــت هناك مشكلة فلا بد ان جورج كبوشي وراءها .

في السنة الاولى من دخوله المدرسة الابتدائية ، مات ابوه. كان عمره انذاك ست سنوات . يقول عن ذلك : موته كان صدمة . فجأة يرى الانسان نفسه وحيدا وغير محمي . انه شبه عار في ارض مقفرة .

الان ما عدت اتذكر صورة والدي ، الام عوضت فقدان الاب. تفتح وعيي على امي التي ربتنا . كان عمرهـــا خمسا وعشرين عاما . ومع انها كانت في عز صباها وجميلة ، الا انها رفضت الزواج ووهبت حياتها من اجلنا . كانت تقول للاقارب والاصدقاء الذين ينصحونها بالزواج من رجل يحميها . من كان في بيتـــه ثلاثة رجال ليس بحاجة الى رابع . اولادي حصتي من الدنيا وهم كفايتي وحمايتي في هذا العالم .

لقد علمتنا تلك الام الطيبة محبة الله ، كما علمتنا القيام بالواجب . كانت تجسد الروح الحقيقية للتضحية في غياب الاب . وبقدر ما كانت حنونة كانت حازمة وصلبة .

عندما نعود من المدرسة تكون بانتظارنا على عتبة الدار. نظام البيت واضح والزمن موزع بين الطعام والدراسة والاغتسال والصلاة . علمتنا التكيف مع الواقع وعـــــدم الانقياد للنزوات والعواطف الخاصة والرغبات .

يتوقف ليشعل لفافة . في وجهه ملامح حزن شفاف اثارتـــه ذكرى الطفولة القديمة . انه يراجع الان حياة عبرت منذ خمسين عـــاما .

عندما سألته عن الطابع الثنائي للتكيف الذي تحدث عنه : تكيف واقعي ، وتكيف ذرائعي ، طلب الايضاح اكثر .

وضحت فكرتي عن التكيف بمفهوم الامتثال والتلاؤم مع العالم كما هو وقبوله في سياقه الوضعي ، وهذا المفهوم يكرس الواقع

ويرسخه ، وهذا نقيض التغيير الذي يطرحه ادراك الواقع لمعرفة تناقضاته وتسريع هذه التناقضات بالفعل الحركي .

كان واضحا الان اننا نقترب من مسألة حساسة سنعود اليها فيما بعد عبر سياق الزمني والروحي ، الثورة والدين ، السياسة واللاهوت .

وجاء جوابـــه الاولي متسقا مع التكوين التربوي للبيـت والمدرسة الدينية : في المدرسة تعلمنا كمبدأ : الكاهن في الخدمة الروحية اشبه بالجندي في العسكرية . انه مامـور . وهـو معرض للانتقال الى اي مكان تفرضه عليه السلطة الكنسية . اذن عليه ان يتكيف مـع المكان والزمان والمركز المسند اليه . هـذا التكيف يريحه ويريح الاخرين . سيكـون سعيدا وهو يمتثـل لرؤسائه . سعادته هذه تنشر الفرح والطمانينة في اعماق البشر المحيطين به . التكيف من الناحية الانسانية والمسلكية ، تنفيذ لامر ولكنه في الوقت نفسه يحمل شحنة عطاء . ما دمت تعطي وانت قانع بما تعطي فانت في اعماق الطمانينة والفرح الروحي . هذا هو الدين في جوهره ، وهذا ما عنيته بالتكيف .

ـ لنعد الى البيت والاسرة . الام ماذا كانت تعمل ؟

ـ اشتغلت خياطة . كانت تخيط الثياب للجيران واهـل الحي . والدي كانت لديه ثلاث سيارات تعمل بالاجرة . بعـد وفاته بيعت السيارات وعشنا بقسم من ثمنها . ما تبقـى من النقود اشترت امي بها آلة خياطة للبيت . لقد انتقلت مسؤولية الاسرة الى الام . كانت الاب والام معا . كانت تشعر بالمسؤولية المضاعفة ومن هنا جاء الحزم في تربيتها الصارمة والفولاذية .

ـ لكنك كنت صعب المراس وعنيفا في طفولتك . كيف كنت

ترضخ لنظام البيت وحزم الام ؟

ـــ احيانا كنت احتج واصرخ . كنت اقول لامي : لا نكاد ننتهي من جرس المدرسة حتى يجيئنا جرس البيت . ما هذا ! اننا نعيش حالة انذار مستمرة .

ـــ وماذا يكون رد فعلها ؟

ـــ كانت تضربني ، وتؤنبني بقسوة . صفعاتها القاسية كانت تعيدني الى الصحو . اتذكر الان تلك الصفعات واقول : لولاها ربما ما كنت رجلا . كانت جدتي لامي تعيد الجو الى صفائه ، تقول لامي : للقسوة حدود . لا ينبغـــي كسر شوكة شخصية الطفل ، انما لا بد من صفعة التنبيه حتى لا يخطىء ثانية . وتلتفت نحوي لتروي لي حكاية او تعلمنـــي امثولة او مبدا من مبادىء الاخلاق والصدق واحترام الوالدين .

ـــ من هذه الحكايات او الامثولات مثلا ؟

يطفىء لفافته . يضع رجلا فوق الاخرى . خطوط الغضب الخمسة في جبهته تتمدد ارتياحا . هذا الخروج الاني من المنفى ورحلة الالام الطويلة باتجاه حقول الطفولة ، ينشر في النفس امواجا من الغبطة السرية ، ومن الاسى الشفاف .

ـــ اتذكر الان امثولة كانت بمثابة ترتيلة او اغنية شعبية تدور حول الدين . جدتي كانت ترتلها على النحو التالي :

« آه وآه وآهتين

وكنس درب الحجاز بريشتين

وحفر بئر عميق بابرتين

وغسل عبدين ليصبحا ابيضين

اهون علي من الوقوف بباب دائن اطلب منه وفاء الدين » .

هذه الامثولة كانت تتحول الى اهزوجة ترددها جدتي حول صعوبة استيفاء الديون .

من هذه الجدة البسيطة التي تروي الحكايات في الاماسي ، تعلمت معنى احتمال الشقاء والالم . عندما كنت في السجن وفي اعماق الظلمة والرطوبة واليأس ، كنت اتذكر حكاياتها الغريبة ، وخاصة حكاية العذاب والصحراء .

لقد سألتها في احدى الامسيات ان كانت تحبنا فأجابت جوابا مثيراً وغريبا : لشدة ما احبكم أتمنى لكم العذاب والالم : وسألتها مستغربا : العذاب والالم يا جدتي : لماذا ؟ وبادهتني قائلة : الكسل والخمول يأتي من الحياة السهلة المريحة الخالية من التعب والشقاء . العذاب والالم يا ولدي يصنعان الرجال . استمعوا يا اطفال لهذه الحكاية . وتبدأ تروي لنا قصة الرجال الذين تاهوا في الصحراء فالتقوا بشجرة عارية ، وكانوا مرهقين من الشمس والتعب والجوع ، فغادروها وهم يلعنونها لانها بلا ظل ولا ثمر ، وبعد مسيرة شاقة واجهتهم شجرة ظليلة مثمرة فهرعوا نحوها ليستظلوا بها ويأكلوا من ثمرها ، ولكن الثمار كانت عالية لا تطال ، فراحوا يجمعون الحجارة من اقاصي الصحراء الرملية ليسقطوا بها الثمر ، وبعد عذاب مضن اكلوا واستراحوا .

بعد سرد الحكاية كانت تلخص لنا المعنى قائلة : الحيـــاة صحراء قاسية يا أولادي . الشجر العاري لا نفع منه والشجر الظليل المثمر يحتاج حجـــارة ومشقة . لا ظل بلا تعب ولا ثمر بلا حجارة وعذاب . قسوة الحياة لا يغلبها آلا الاقوياء .

لم تكن الحكاية نبوءة بمستقبل الآلام التي لفحت الطفل فيما بعد ، بقدر ما كانت قانونا بسيطا مستنتجا من التجربة الشعبية . القانون العفوي ، ولكن الحاد والمنطقي : للنضال من أجل حياة لها معنى لا بد من الاسلحة .

المتمرد الطليعي

الرجل الذي اقض مضجع أسرائيل بعد اعتقاله ومحاكمته وسجنه ، والذي انصهرت قضيته بقضية العرب في القرن العشرين ، فصار رمزا وامثولة كفاح ، كان تلميذا فذا ، ومشاغبا في الوقت نفســـه .

في المدرسة الابتدائية كان من المبرزين الاوائل ، ولكنه كان مثيرا للمتاعب وصداميا مع اولاد الحي والطلاب والمعلمين .

كانت لديه عصابة من الاشقياء والمتمردين من تلاميذ المدرسة وابناء الحي ، وكان هو القائد .

مع هذه العصابة كان يثير معارك في ساحة المدرسة وملاعبها وفي أزقة الحي ، والخسائر دائما في الطرف الاخر : وجوه دامية ، رضوض ، تمزيق ثياب ، دموع ، والشكوى ابدا ضد جورج كبوشي ، قائد العصاة .

ولكنـــه كـــان شهمـــا ، تعاونيـــا ، ومضـــحيا ، شأنـــه شأن اي قائد ينزع الى كسب الانصار بمواقفه النبيلة .

كان يقدم لطلاب المدرسة الفقراء جزءا من مصروفه اليومي ، ويوزع عليهم قطع الكعك والبسكويت ، فكان محبوبا وقريبا من القلب لجراته وشهامته .

لم تكسره قسوة الام . صقلته ، محولة رخاوته الى كتلة صلبة لمواجهة ضراوة العـــالم .

كان يمتلك كبرياء الطليعي وجرأته في اقتحام المخاطر دونما حساب للربح والخسارة ، ولكنـــــه كان وديعا في أعماقه وداعة النبـــع .

غير ان الام كانت قلقة من هذا المتمرد الذي يضرب اخاه الاكبر انطوان ويعتدي على الاطفال حتى يدميهم .

ذات نهار شدهت الام حتى الذعر من مشهد لن تنساه . جورج وانطوان يأتيان من المدرسة وعلى وجهيهما سيماء الشجار . يرمي جورج محفظته بحنق ويتناول خيطا يعلقه بحلقة في السقف ، صانعا من الجزء المتدلي انشوطة . يأتي بكرسي ويقول لانطوان : هيا اصعد الى الكرسي . عندما يصعد أنطوان ، يضع جورج الانشوطة في عنق اخيه ثم يضرب الكرسي بقوة فيتـــدلى انطوان مشنوقـــا .

لكن الخيط ينقطـــع .

وتصرخ الام التي كانت تضحك من هزلية المشهد .
ــ ولكن ما الذي فعلته يا جورج ؟

ويصيح جورج بعصبية : مشهـــد شنق . لقد رأيت ثلاثة مشنوقين في ساحة « باب الفرج » واريد ان اعاقب انطوان مثلهم .

ــ ولكن ما الذي فعله ليستحق الشنق ؟
ــ وقف مع الناظر ضدي وانا على حق .
وقال انطوان وهو يسعل من ضغط الخيط على عنقه :
ولكن لماذا كتبت على السبورة ان الناظر حمار ؟

وصاح جورج : بلى . انه حمار لانه صدق التلاميذ الذين

شكوني وانا بريء . لقد شهدت ضدي وتعلم بأنني بريء . لماذا تقف ضد الحق ؟

وانتاب الام مرارة وخوف . كان واضحا ان هذا العاصي قد تخطى عقابها وكسر عليه . صلت لله ان يهديه ثم ذهبت الى مدير المدرسة تطلب عقابه .

لكن مدير المدرسة يجيبها جوابا غريبا : لا تقلقي عليه . المياه الهادئة اعماقها عكرة اما الصاخبة فنظيفة الاعماق . ابنك نقي الجوهر . انه كالنهر الصاخب يقذف اوساخه على الضفاف امـــا اعماقه فنقيـــة .

ثم يسرد المدير للام قصة داؤود النبي الذي قتل جوليات بحجر عادي غير مصقول . ويقول لها : الحجر غير المسوى هو الذي يقتل . جورج حصاة غير مصقولة لكنها تدمي وتقتل . دعيه على فطريتـــه .

ويردد المدير المثل الحلبي الشائع : « البير البيطب بيحفر جب » .

غير ان ادارة المدرسة كانت تعـــــرف كيف ستوجه طاقة الطفل . كانت ديناميته المثيرة وذكاؤه المتفوق ، يؤهلانه لاستلام مسؤولية الصف ، وبذلك يمتثل تحت مظلة الانضــــــباط والسلطة والهـــدوء .

ــ وهكذا صار كبوشي العـــــاصي والشاغب ، كبوشي النظامي . يقول العبارة مدركا خلفيتها ، ومغزاها السياسي ، وهو يبتســـم .

وهـــو يرسم لوحـــة طفولة المدرســـة ، تنتابه نشـــوة ذكريات تتموج كطيور ملونة فوق بحار ذاكرته .

ــ لقد كنت طليعيا في الغضب والهدوء . انني اكره ان اكون تابعا . اريد أن اكون دائما في المقدمة واصرخ : اتبعوني !

الانعطاف الديني

« قد يتحول الكهنوت الى مسألة طقسية ، فردية وسطحية اذا لم يجازف العلمانيون بالنضال من أجل رفاهية اخوانهم » .

كاميلو توريس

في البدء كانت الحرية . الطفل الذي كان صاخبا وعنيفا في البيت والمدرسة ، كان يرفع صوته ويديه عاليا من اجل الحرية . وعبر هذا الاحتجاج الثائر ، كان الخط البياني للطمــوح يتنامى ويتعمق ، وعندما كان يمر في مرحلة انكسار ، كان يتحول الى حالة جنينية للانطلاق باتجاه اخر .

ومن البدء كانت هناك حالتان في مجال تنازع . ان شخصية الطفل كانت مشروطة على ما يبدو بحدين : التكيف من اجــل الامتثال ، والنزوع نحو الخروج .

وبين صوت الام بتعاليمها التقية ، المتسقة مع صوت المدرسة باطواقها وانذاراتها ، وبين صوت الرغبة والحرية الداخلية ، كان هناك انشراخ وتعارض .

ولان صوت الورع والتقى والهدوء والانضباط كان الاقوى ، ضمر صوت الرغبة والحرية الداخلية زمنا . لقد حسمت الام مسألة التعارض بالتوجه النهائي نحو الكنيسة والدين . حدث ذلك اتقاء للجنوح المحتمل في اعماق الطفل .

جورج كبوشي يغادر في الحادية عشرة من عمره مدرسة « الفرير » الى بيروت ويدخل في عام ١٩٣٣ المدرسة « الباسيلية الحلبية » الدينية .

عندما سأله احد القساوسة : لماذا تريد ان تصبح كاهنا وليس طبيبا او مهندسا ؟

اجاب : الكاهن يهيء رجالا للمجتمع . في عالم الكهنوت السبل مفتوحة للبذل والعطاء . السعادة هي العطاء والله في النهاية هو

هذا العطاء وهذه الطاقة الخلاقة في اعماق الانسان .

وهكذا بين الامتثال والخروج ، اقام الطموح الخلاق جسرا من التكيف لصبوة القيادة وتهيئة الرجـــال وتفجير الامكانيات الكامنــة .

لم يكن هناك تنازل من جانب الطفل الذي يهيأ ليكون كاهنا ، بقدر ما كان هناك انعطاف وتحول من مجرى لاخر .

ولان الظروف الموضوعية في مرحلة الطفولة الاولى لم تكن ناضجة ، كما لم تكن متسقة مع النمو الذاتي والوعي ، حدث الانعطاف الآني باتجاه الدين لا باتجاه السياسة والثورة .

غير ان المراحل اللاحقة للنمو والتحـــول ووعي القضية التاريخية لرجل الدين ايــلاريون كبوشي ، ستضع المسألة في نطاقها الذاتي ـــ الموضوعي الصائب ، وسيحل اشكال التعارض القديم بين الدين والثورة بحالة توحيدية واندماجية ليست فريدة من نوعها ، ولكنها ظاهرة استثنائية وفذة في القرن العشرين يمكن ان تتحول الى قدوة وامثولة .

وهكذا من عام ١٩٣٣ ـــ ١٩٤٢ وعبر سنوات تسع ، يتلقى الفتى دروسه الاعدادية والثانوية في (الباسيلية الحلبية) التي ينسب اسمها للقديس (باسيليوس) . وخلال هذه السنوات الهادئة يختزن النهر الصاخب قواه الكامنة ، ويوجه جورج كبوشي بتعاليم دينية ليصبح كاهنا مكرسا في اكليريكية الرهبـــان البيض في القدس فيتحول اسمه الى ايلاريون كبوشي .

ومن عام ١٩٤٢ ـــ ١٩٤٧ يتفرغ داخـــل دير الاكليريكية للتشبع بروح الكهنوت والطقوس الكنسية واللاهوت المسيحي ، معزولا عن العالم الخارجي .

كانت احداث فلسطين تهز العالم والوطن العربي آنذاك ، وداخل فلسطين يمتد الارهاب الصهيوني ليحقق حلم « مملكة داؤود » « وارض الميعاد » التي ستقام على أنقاض الجسد العربي وارض فلسطين العربية .

يتحدث الكاهن كبوشي عن تلك المرحلة بشحنة عميقة من الالم : كنا معزولين داخل الدير ولكن الاخبار والاحداث كانت تجتاز الجدران العالية وتصلنا . كنا نتالم ونناقش ما يحدث في اوقات الراحة . الآباء الروحيون كانوا يتحسسون الاحداث المؤلمة لكنهم كانوا يخشون انتشارها بيننا خشية ضعضعتنا . عندما نسف الاسرائيليون فندق الملك داؤود كنت الوحيد الذي ذهب ليراه . شاهدت الدمار وجثث الضحايا الـ ٩٠ من الانكليز والعرب وشعرت بألم لا حدود له . انبني ناظر الدير وقال : ما كان عليك ان تذهب . انت رجل دين ونحن محايدون . وقلت : ولكنها بلادي ايها المحترم . بلادي التي ينسفونها . كيف يكون الانسان حياديا ووطنه في خطر ؟ فيما بعد سجلت بعض اليوميات عن الارهاب الصهيوني وعن ذلك اليوم المؤلم .

كان الان موشحا بمزيج من الغضب والمرارة وهو يتذكر ذلك اليوم الاسود : انا اعتقد ان ذلك اليوم لن يمحى من ذاكرتي . وربما كان البداية . بداية الاحساس بالقضية . لقد شاهدت بأم عيني الدليل العملي والقاطع لارهاب البرابرة وهم يمزقون جسد الوطن .

وفي القدس يبدأ الاحساس بالقضية الفلسطينية . قضية الشعب الذي غزي في ارضه وعقر داره . لقد جاءه الغزاة من وراء البحار ومعهم البنادق والتفويض الامبريالي لطرد شعب من بلاده واسكان شعب آخر غريب ودخيل ، تحت ستار اكذوبة

تاريخية وحق ميثولوجي مزعوم ، سوف يفرض بالحراب الاستعمارية والعنف المسلح والارهاب الدموي .

كان ايلاريون كبوشي قد رسم كاهنا في عام ١٩٤٧ في القدس بعد انتهاء مرحلة التحضير والدراسة اللاهوتية .

وبعد ان سمح له بالخروج من الدير ككاهن مكرس ، بدا الدخول في المجتمع لاقامة علاقات اجتماعية بين الكنيسة والناس . ومع الاسر والعائلات الفلسطينية المسيحية ، كان يلتقي ويبشر بتعاليم المسيح حول المحبة والتسامح والقيم الروحية .

— كيف كنت تربط بين القضية والتسامح ؟

— مذ كنت في الدير كنت مندفعا نحو قضية فلسطين . ومع ان ادارة الدير كانت تمنع الاحاديث السياسية الا ان ذلك كان يحدث سرا . بعد ان رسمت كاهنا وخرجت الى الحياة الاجتماعية ، صار بالامكان الجهر بالامور السياسية . كان عمري آنذاك خمسا وعشرين عاما . لم يكن الوعي كاملا في الامور السياسية ومع ذلك كنت أحث الناس على التضامن والتعاون والتضحية . كنت اشرح حياة السيد المسيح الفدائي الاول في سبيل المحبة الانسانية . المسيح ولد في فلسطين وعاش فيها وصلب فيها والذي صلب المسيح هم اليهود وهؤلاء هم اعداء المسيحية منذ نشأتها . هكذا كنت اعلم الاخرين ان المسيح فلسطيني والذين صلبوه هم اعداء فلسطين . وكان واضحا المغزى من وراء هذه العبارات .

بعد عام ١٩٤٧ يعود ايلاريون كبوشي من القدس الى لبنان ويقيم في سوق الغرب في (دير الشير) بالشوف .

ويبدأ النزوح الفلسطيني الاول . آلاف العائلات تخرج من

ارضها ومنازلها تحت النيران والرعب ومرارة الهزيمة .

فلسطين سقطت بيد الصهاينة ، والثوار ظلوا يقاتلون حتى اخر رصاصة . لم يتخاذل الشعب لكن الحكام الخونة سلـموا فلسطين . لقد تواطأ السلاطين والملوك العرب مع الامبرياليين والصهاينة ، وهزمت الجيوش العربية تحت ضربة الخيانة ، وهكذا امتلأت ارض العرب باللاجئين المفعمين بالحقد والمرارة وشهوة الثأر القـادم .

وفي لبنان ومنطقة الشوف يهتم الاب ـ الخوري ايلاريون كبوشي بعدد من العائلات النازحة ، والتي يعرف قسما منها ابان وجوده في القدس . يؤمن لها السكن والطعام واللباس والمال . ومن خلال لقاءاته مع النازحين كان يهون عليهم وقع الكارثة ويقدم لهم العزاء الروحي .

كان لـدير الشير المسـؤول عنه ، مدرسة هي مدرسة (النهضة الوطنية) ، كانت مدرسة ابتدائية واعدادية عادية ، تحولت الى مدرسة ثانوية داخلية تستوعب الطلاب الفلسطينيين من ابناء اللاجئين . لقد اعتنى الخوري أيلاريون بشؤون المدرسة ورفع مستواها واشترى لها باصا لنقـل التلاميذ من بيوتهم ومخيماتهم اليهـا .

استمر اهتمامه بالدير والمدرسة وامور النازحين من عام ١٩٤٧ ـ ١٩٥٢ ، وخلال هذه الفترة بذل جهودا متواصلة لتحسين اوضاع العائلات الفلسطينية التي كانت تعيش تحت ظل اقسى الظروف في المخيمات . يتحدث عن هذه الفترة فيقول : في الشوف تعرفت على البؤس الفلسطيني . ومن خـلال موجات النزوح ادركت الوضع اللاانساني للانسان الفلسطيني كما ادركت عمق الجريمة التي ارتكبتها الصهيونية ضد شعبنا المشرد . لقد كان الجوع والتشرد والفقر وفقدان الوطن ، وصمة عار في جبـين

الدول الاستعمارية التي اقامت اسرائيل في قلب وطننا العربي .

كانت امامنا وثيقة البطــاركة والاساقفة الكاثوليك الموجهة الى اعضاء الاكليروس في العالم . وفي هذه الوثيقة تنديد بمواقف الغرب المعادية لقضية العرب في فلسطين .

بعد ان تحدثنا حول اهمية الوثيقة في هذه المرحلة ، وشجبها للتحيز والظلم الواقع من الغرب ضـــد الفلسطينيين والعرب ، سألته عن « اللاسامية » هذه الخدعة الابتزازية التي تذرع بها الصهاينة لزرع « عقدة الذنب » لدى الاوروبي . عقـــدة الذنب المستحكمة من جراء جرائم النازية ضد اليهود . وراح يتحدث بوعي تاريخي صائب ، وهو ينظر الى الجدار المقابل . الى تمثال فضي يمثل المسيح المصلوب :

اود ان اقول شيئا لست ادري لماذا هو غـــير مفهوم عند الغــرب . امر بديهي وتـــاريخي ان العـــرب ساميون كأصـــل تاريخي ، فكيف يكونون ضد السامية ؟ كيف يكونون ضد ميراثهم وأصـــلهم ؟

ان عقدة اللاسامية التي استغلتها الصهيونية يمكن ان تكون ابتزازا في الغرب ، وهي كذلك . لقد روجتها القوى الصهيونية لتستدر بها عطف الغرب ودعمه لاقامة دولة اسرائيل . نحن نعرف ان الالمان الغربيين ما زالوا يدفعون لاسرائيل مـــلايين الماركات تكفيرا عن جرائم هتلر والنازية .

ويتوقف قليلا ليشعل لفافة . يكتسي وجهه مســـحة من الجهامة . ان شخصيته تتألق بكامل قوتها ووهجها وهو يتحدث في المسائل العميقة . آنذاك ترى فيـــه الرجل المتماسك والصلب والمستند الى قناعات لا تتزعزع .

— ان العالم كله يعرف اننا ندفع الثمن بدل الغرب . هم

ابادوهم في الافران الكهربائية والمذابح الجماعية فما ذنب العرب والفلسطينيين ليؤدوا ضريبة الجريمة التي ارتكبها الغرب ؟ لماذا يصمون آذانهم عن جرائم اسرائيل في عمليات الابادة والتشريد والقتل التي ارتكبت في فلسطين ؟ موقف الغــرب المسيحي ليس مفهوما . بل هو مدان . ان الاستعمار الاوروبي والامريكي شريك في الجريمة ، وعليه ان يعاني عقدة ذنب امامنا نحن العــرب والفلسطينيين .

ــ هناك في الغرب حالة عداء واضـــــحة ضد العرب في صراعهم مع اسرائيل . هل عقدة الذنب المتأصلة نحو اليهــود واللاسامية وحدها التي تفسر هذه الحالة ؟

ــ في اعتقادي ان للمسالة وجهـــا تاريخيا ، يعود الى العصور القديمة . بين الغرب والعرب صراع تاريخي يمتد منذ الفتوحات العربية القديمة مرورا بالغزو الصليبي والامبراطورية العثمانية حتى الاحتلال الاوروبي بعد الحرب العالمية . هذا الوضع خلق عند الاوروبي حالة عداء ضد العرب . بصراحة انا ارى ان الاستعمار العالمي يخشى وحدة العرب ولهذا خلق لهم اسرائيل ليظلوا منقسمين ومجزئين .

ــ هل قرات تقرير بنرمان الذي يعود تاريخه الى عـــام ١٩٠٧ والذي يؤكد رأيك هذا حول ضرورة اقامة حاجز غريب معاد في قلب الوطن العربي ؟

ــ نعم القوى الاستعمارية تخيفها الوحـــدة العربية منذ القدم واسرائيل وجدت لتمنع هذه الوحدة . انه لامـــر مؤسف ومؤلم ان الحكام العرب يفكرون ويعملون من موقع قطري واقليمي

بدلا من الموقع القومي ـ الوحدوي . انظر الى الثورة الفلسطينية الان ماذا تفعل بها الانظمة العربية ! هذه الثورة تشكل خطرا على اسرائيل وقــد وجدت لتقاتل اسرائيل وبدلا من التفاف العرب حولها تراهم يحاصرونها ويضيقون عليها الخناق ويضربونها . لماذا يحدث هذا . لماذا ؟

كان يرفع يدين بأصابع طويلة تصارعان الفراغ . لقد بدت المرارة في تقاطيع وجهه الشبيه بمنحوت صخري . في هذه اللحظة كان ممتزجا بالالم والغضب المفجوع .

في غمرة هذه الحالة دق الباب ودخلت احدى الراهبات . تحدثت معه بالفرنسية حول مواعيد لصحفيين سويديين ورجال دين افارقة ، ثم قالت : الغداء جاهز يا سيدي والاهل ينتظرونك .

العودة الى سوريـــا

في عام ١٩٥٢ يغادر الاب ـــ الخوري ايلاريون كبوشي عائدا الى سوريا وطن الطفولة ليبقى فيها عشر سنوات وكيلا بطريركيا للقرى المحيطة بدمشق .

هو الان في الثلاثين . في عمر النضج والوعي والعطاء . وهو يتحدث عن هذه المرحلة ، تشعر بالتحول الجديد للطـــاقة والطموح المبدع لرجل الدين الذي اقتحم معترك الحياة الاجتماعية والســـياسية .

كان ممثلا للبطرياركية مع الحكومة والدوائر الرسمية لتأمين امور الرعية وتطوير الكنيسة ، ومن خلال مسؤوليته اقام علاقات وثيقة مع المسؤولين ورجال الدولة والقيادات السياسية .

بنى مدارس للطائفة الكاثوليكية ، وأنشأ كنائس وبيوتا لرجال الدين المتعاونين معه والمسؤولين عن الشؤون الكنسية .

في تلك المرحلة امتزجت المسائل الدينية بقضايا السياسة . كانت سوريا تعيش مناخها الوطني الديمقراطي ومدها السياسي العارم ، من خلال حرية الاحزاب السياسية والشعور القومي المتصاعد والتوجه نحو الوحـــــدة بعد سلسلة من الانقـــلابات العسكرية الفاشلة . وفي مصر كانت الملكية قد سقطت . وجاءت

ثورة ٢٣ يوليو بقيادة عبد الناصر ردا على فساد الملكية وهزيمة العرب في فلسطين .

وفي اعقاب الانقلابات العسكرية ، التي بدأت تشهدها المنطقة العربية في سوريا والعراق ومصر كاستجابة مضادة لهزيمة هذه الجيوش في فلسطين عام ٤٨ ، تكونت حالـــة جماهيرية عارمة وعفوية تدعو الى الوحدة العربية كطريق لتحرير فلسطين .

ان عام ١٩٥٨ سيكون تتويجا لحالة النهوض الشعبي والمد الوحدوي ، وفي هذا العام يشهد الوطن العربي حدثا تاريخيا فريدا من نوعه في تاريخ العرب الحديث : وحدة مصر وسوريا في دولة الوحدة . ويشهد ايلاريون كبوشي هذه الوحدة التـــاريخية . يرى كيف احتفل الشعب في سورية بالوحدة ، وكيف زحفت امواج الجماهير لاستقبال عبد الناصر ، الذي تعرف عليه فيما بعد والذي يقول عنه : كنت ارى وما زلت في عبد النـــاصر اعظم رجل حتى الان . لقد كان قلبا ودماغا . عبقري في تفكيره وانساني في شعوره . كان يمتلك توازنا مدهشا بين العقل والعاطفة .

لكنه سيشهد أيضا وبمرارة ، ضربة الانفصال التي مزقت الوحدة وبددت حلم الجماهير المحبطة .

ان حوارنا حول عبد الناصر والوحدة والاخطاء والانفصال ، يأخذ طابعا جدليا متعارضا احيانا ، ومتسقا في مجالات اخرى .

سألته عن لقائه بعبد الناصر فقال : حدث ذلك على ما انكر في عام ١٩٦٠ . لقد فوجئت ببساطته وتواضعه . انه يمتلك قلبـــاً كبيرا . يحسن الاستماع الى الاخرين كما يحسن التحدث . يتمتع ببصيرة نافذة وقدرة غير عادية في تحليل الاحداث . انكر اننا تحدثنا عن الحساسية الاقليمية وخطر هذه النزعة على الوحدة وامكانية استغلالها ضد الشعور القومي . كان عبد النـــاصر واعيا لهذه

المسالة ، ولكنه كان موقنا بانها حالة عارضة ستزول برسوخ المؤسسات الوحدوية ونمو الوعي القومي بديلا عن الشعور القطري . كان تحليله صائبا حول ترسيخ الاستعمار لهذه النزعة الاقليمية على مدى التاريخ ، واستغلال هذا الشعور في تكريس التجزئة . وتحدث عبد الناصر عن الشعور القومي الذي يحتاج زمنا ليترسخ ويتحول الى علاقات يومية ، وقال بان السوريين متقدمون في الوعي القومي ، اما في مصر فالمسالة ليست سهلة ، لا بد من تحويل مصر الى العروبة . ان الوحدة العربية والقومية العربية حقيقة تاريخية منذ زمن محمد علي .

افكار كبوشي حول وحدة الـ ٥٨ وحول وضع عبد الناصر في مصر تبدو جديدة ، ومفاجئة . يرى انه كان على عبد الناصر ان يبني الدولة المركزية القوية داخل مصر ثم يتوجه نحو الوحدة العربية : **لو اهتم عبد الناصر بمصر وصنع منها القاعدة الصلبة والنموذج ثم التفت نحو العروبة لكان ذلك افضل . اهتمامات عبد الناصر القومية بددت قواه وطاقاته في الوقت الذي كان فيه مزعزعا في مصر .**

ــ ولكن هل يلام عبد الناصر لتوجهه العربي وتغليبه القومي على القطري ؟

ــ لا . انا لا اقصد اللوم . لقد حول عبد الناصر مصر نحو العروبة . ولكن الوحدة كانت تحتاج دولة مركزية صلبة الاساس . وهذه الدولة كان ينبغي ان يبنيها عبد الناصر في مصر .

ــ ولكن الجماهير العربية كانت تلح على ضرورة قيام الوحدة فماذا يقول لها عبد الناصر ! اما ان يرفض هذه الوحدة فيتحول الى حاكم قطري كأي حاكم عربي آخر او يستجيب لرغبة الشعب .

وعبد الناصر اختار الاستجابة كضرورة تاريخية . الا ترى معي ان حركة الشعب وتوجهه هي الاساس ؟

ــ الشعب هو الحقيقة والافراد يزولون هذا مؤكد . وانا ارى في عبد الناصر ضحية . لقد ضحى بحياته من اجل الشعب . لو عصرته لرشح اخلاصا . انما الخطا كان في التناقض داخل الدولة والنظام . عبد الناصر كان مطوقا بالانتهازيين والوصوليين . بطانته كانت سيئة . ما كان يقدم اليــــه عن الاوضاع كان كاذبا ومزيفا . اعطوه صورة متماسكة عن دولة الوحـــــدة ثم حدث الانفصال . التقارير التي كانت تقدم اليه عن قوة الجيش وقدرته كانت تؤكد له هزيمة اسرائيل خـــــلال ساعات وحصلت هزيمة الا ــ٦٧ . عبد الناصر وحده تحمل هزيمة حزيران . لقد صهرته الاحداث والتجارب ، وعند بدا يعي ويدرك فداحة الاخطاء وابتدا بالتغيير الجذري خطفه الموت . عبد الناصر اختطف في بداية تحوله ليكون رجل التاريخ العظيم .

وراء هذا الحوار وهذه الافكار والحقائق التي تشكل جانبا صائبا ومهما يلقي الضوء على فجيعة العرب بوحدتهم وقائدهم ، تكمن حقائق اساسية اخرى لم يشملها الحوار . هذه الحقائق تكمن في دور العامل الموضوعي والذاتي معا ، واهميتهما في تدمير وحدة الــ ٥٨ والهزائم التي لحقت بحركة التحرر الوطني العربية فيما بعد ، وفي مقدمة هذه الحقائق : دور الاستعمار والرجعية المعادي للوحدة والمخطط لتمزيقها على المســـتوى الموضوعي ، وغياب الديمقراطية والتنظيم الثوري كدعامة على المستوى الذاتي داخل الدولة .

صدمــة الهزيمة

« عبر تحليل المجتمع الكولومبي توصلت الى فهم ضرورة الثورة لاطعام الجائع ، وارواء الظمــآن ، واكساء العريان ، وتحقيق الرفاهية لاوسع جماهير شعبنا . انني اعتبر النضال الثوري نضالا مسيحيا وكهنوتيا » .

كاميلو توريس

في عام ١٩٦٢ يغادر كبوشي سوريا الى لبنان رئيسا عاما للرهبانية الباسيلية الحلبية في بيروت .

وخلال ثلاث سنوات ، يمارس حياة دينية داخل الدير . حياة شبه مغلقة على العالم الخارجي . ان رجل السياسة يدخل في طور الكمون ، خاضعا لاختبار الحياة الرهبانية ونسق نظمها القاسية التي تتطلب التفرغ الكامل لطقوس الروح .

التكيف اذن مرة اخرى !

الاب ايلاريون يسمي التكيف « نعمة » من نعم الله .

تربية البيت، وتربية المدرسة، والنظـــام الخلقي والروحي للكنيسة ، ولدت التكيف معادلا مثاليا للرغبة والطبيعة الماديتين . نزوعا نحو التصعيد والسمو وكسر الجموح البدائي .

يقول وهو يداعب خاتمه الرعوي : انني امتلك نعمة التكيف مع الظروف والاوضاع . للصلاة وقت وللراحة وقت . للسلام وقت وللحرب وقت . اذا كنت مع الفلاحين انا فلاح . مع المثقفين او الجنود مثقف وجندي . اعيش في قصر كما اعيش في كوخ . في السجن تكيفت مع ظروفه القاسية . عندما كانت الوسائل السلمية مجدية مع العدو لجأت اليها . وعندما فقدت هذه الوسائل جدواها لجأت الى العنف .

كانت الحيـــاة في الرهبانية منظمة ، ومرتبة ، ودقيقة ، وصارمة . ان الرئيس العام هو القدوة والمثال . بعد قدومي كان

الرهبان يتساءلون : هذا الخوري الجديد هل يستطيع ان يكون القدوة ويخضع لانظمة الدير والرهبان ؟

لقد امضيت ثلاث سنوات في الرهبانية لم اغادر الدير فيها الا مرة واحدة في الاسبوع . حاولت ان اعود بالحياة الرهبانية الى سالف عهدها : التفرغ الكامل للعبادة ، والتقشف الروحي ، والعطاء النقي لله ، والخضوع التام للتعاليم المسيحية .

— هذا الانتقال المفاجىء من حياة اجتماعية — سياسية ، الديني فيها ممتزج بالدنيوي ، الى حياة روحية خالصة الم يكن مثيرا للاحتجاج الداخلي في النفس ؟

— ان تهب حياتك لله والكنيسة فهذا يعني انك صرت مسيرا بارادة فوق ارادتك . وما دمت قد قبلت هذا فعليك ان تطيع بلا تذمر او احتجاج . كنت اقول لنفسي وانا في غرفتي الصغيرة : فيما مضى كنت طليقا والان ما عدت . الرهبان كانوا يراهنون على امكانية استمراري ومدى خضوعي لقانون الدير وانظمته ، وعلي ان اكسب الرهان . كنت اعمل واقول : اتبعوني . انا قدوتكم . مع مضي الوقت اعتدت الحياة الاجتماعية في الدير . أسست نظاما من العلاقات الاخوية والتعـــاونية بين الرهبان والراهبات . نظام يمكن ان تسميه اشتــراكيا لانني انا بطبعي اشتراكي واكره التعالي والفوقية . السلطة الروحية او المدنية ينبغي ان تكون في خدمة الشعب . رجل الدين هو للناس جميعا دونما تفريق او تمييز الا بالعمل والتضحية والتعاون .

وفي نهاية السنوات الثلاث يصبح الرئيس العام الذي اثبت جدارة متميزة ومخلصة داخل « الرهبانية الباســيلية الحلبية » مطرانا للقدس .

لقد انتخب مطرانا قبل أن تنتهي ولايته كرئيس عام . جاء ذلك تقديرا وتكريما للراهب ، الخادم المخلص للكنيسة الكاثوليكية، والمضحي بالروح اقتداء بالمعلم الذي افتدى العالم بالجسد والدم .

في عام انطلاقة الثورة الفلسطينية المسلحة ، يعود المطران الجديد ايلاريون كبوشي الى القدس نائبا بطرياركيا لطائفة الروم الكاثوليك .

ولم يكن ذلك مصادفة او قدرا بالمعنى الحدسي البسيط . ان مجرى الاحداث الذي يتراءى وكأنه انسياق عفوي ، تلقائي ، يمتلك في جوهره وخاصية تركيبه الاولى ترابطا منطقيا يسفر عنه التراكم في لحظة التغيير النوعي . ومنذ البداية كان واضحا الارتباط السري بين رجل الدين الذي اختير كاهنا لخدمة الكنيسة والله ، ورجل السياسة والمجتمع الذي اختار طريق الوطن وطموح الفعل الدنيـــوي .

ومع أن السياق السائد يقدم التعــــــارض والتناقض بين الطريقين : طريق الدين وطريق السياسة ، طريق الروح وطريق المادة ، طريق الله وطريق فلسطين ، الا ان ايلاريون كبوشي سيقيم نوعا من التوازن الهرموني الخاص بين المجالين .

وفي مجرى هذا التوازن ستبرز المسألة المركزية ، والتمايز المثير لقضية رجل الدين الذي اختـــــار فيما بعد طريق العنف والثــورة .

ان عام ١٩٦٧ ، العام الاكثر سوادا في السجل العربي منذ سقوط بغداد في القرن الخامس عشر ، سيكون بداية انعطاف حاد في تاريخ ايلاريون كبوشي . او كما يقول : ان هزيمة الــ ٦٧ هي نقطة التحول الخطيرة في حياتي . لقد كانت الصدمة وعود الثقاب الذي احرق هشيم الغابة .

القدس عاصمة فلسطين ، والمركز الروحي للديانات ، هذا القلب النابض بدم الانبياء وظلال الآلهة ، سقط بسيف اسرائيل . وقبل القـــدس كانت المدن الفلسطينية قـــد تحولت الى مدن اسرائيلية ، وتم تزوير التاريخ لا بروح الله انما بالسيف . لقد امتد سيف اسرائيل حتى مشارف القلب العربي على تخوم القاهرة وعمان ودمشـــق .

ان عـــار الهزيمة ودماء الضحايا سيظل لاصقا بجباه الحكام ، ولكن الشعب المنفي سيظل بريئا . لقد حيدوه ، ونفوه ، وحاربوا عنه ، فانهزموا . وعندما بدأ الفتك الاسرائيلي وجند له كل شعب اسرائيل ، كان كل الشعب العربي متفرجا ، يشهد .

ان الشعب المقهور والمضطهد والجائع والاعزل ، لا يحارب .

عن هذه الكارثة التي مزقت قلب مطران القدس والمحفورة في قلبه كالوشم ، يروي تفاصيل احتلال المدينة القريبة من نفسه كدمه . احتلت القدس يوم الاثنين مساء ٥ حزيران . وصـــل الاسرائيليون الى المستشفى الفرنسي ودخلوا القدس القديمة يوم الخميس . كان الشهداء في الشوارع كالطيور المذبوحة . يوم الجمعة منعوا التجول في المدينة . كنت اراقب بالمنظار عن سطح المطرانية العمليات العسكرية لاجتلال القدس . رأيت احتـــلال (جبل سكوبس) على ضوء القذائف المنيرة ليلا . لقد ضربوا بالقنابل « مدرسة الصلاحية » التابعة لكنيسة « القديسة حنة » ، قبل منع التجول اصطحبت معي الخوري « سمعان صيداوي » . خرجنا بثيابنا الرسمية نحو مدرسة الصلاحية لتفقد احوال الناس . اعترضنا الجنود الاسرائيليون . كانوا يهددوننا بالسلاح محاولين منعنا من التقدم . وكنت احاول اقناعهم بأنني رجل مسؤول عن الكنيسة وسلطتي تتطلب مني تفقد رعيتي .

بعد جهد وصلنا الى الكنيسة والمدرسة . كان جزء من الكنيسة مهدما ، كما كان هناك طلاب جرحى اصيبوا بشظايا القذائف . وبالقرب من باب السيدة مريم المجاور للكنيسة ، شاهدنا جثث القتلى مطروحة على الارض . جندنا الرهبان والراهبات وبعض السكان ، وبدأ دفن الشهداء داخل حفر في منطقة باب الزاهرة ، وفي مناطق اخرى . قبل الدفن كنت مع احد الشيوخ المسلمين نصلي على ارواح الشهداء . اكثر من / ٤٠٠ / شهيد دفناهم . استغرقت عملية دفن الموتى حوالي اربعة ايام .

الاحتلال صار حقيقة واقعة بعد ان هزمت الجيوش ، وامتلأت ارض العرب بالحزن والقتلى والمشردين . امام هذا الواقع المفجع ، كان الموقف العملي يفترض مواجهة الحالات الملحة الجديدة واليومية للشعب : السكن للمشردين . المياه . الكهرباء . الطعام . المعونات المالية .

كانت الكنيسة امام هذه الاوضاع والحالات ، تشعر بمسؤوليتها الانسانية في تقديم المعونة للمواطنين الذين هدمت منازلهم وفقدوا مرتكزاتهم المادية وقدرتهم على استمرار الحياة بمطالبها الضرورية .

يقول ايلاريون كبوشي : امام هذه الحالات الملحة والناشئة كان علينا ان نتصرف بروح عملية تتجاوز حس الفجيعة وان نأخذ بيد شعبنا في لحظة المحنة على نحو متماسك حتى لا يفقد ثقته وينهار كلية امام الضربة الصاعقة للعدو . وهكذا بعد اسبوع اسسنا في القدس جمعية خيرية للمساعدات الانسانية (كاريتا انترناسيونالي) وهي فرع من مؤسسة عالية للمحبة الانسانية ، انتخبت انا رئيسا لها وكان يساعدني مطران اللاتين المطران (بلتريتي) مع خوري فرنسيكاني هو الاب (روك) وكاهن فرنسي

الاب (جوليان) وكاهن اخر لاتيني هو الاب (باطح) . امنـا للمواطنين المواد الغذائية الملحة نوزعها عليهم يوميا . كانت المعونات تأتينا من كل انحاء العالم . كذلك وزعنا بعض الاموال . وبدأنا بترميم وبناء البيوت المهدمة . لقد اعدنا تعمير وبناء حي باكمله كانت بيوته مصدعة ومهدمة ، وهو حي اسلامي اسمه (باب حطة) قرب مدرسة الصلاحية .

بعد ان نظمنا امور الجمعية ، تخلينا عن فكرة الاحسان بالمال . كنا نشعر ان في ذلك شيئا من الاذلال وكسر النفس . استعضنا عن ذلك بالتسليف ، دون فوائد ، لمساعدة بعض الذين فقدوا مؤسساتهم الصغيرة . مثلا : صاحب دار نشر فقد مطابعه ، كنا نسلفه ليشتري مطبعة يسدد لنا المبلغ بعد ان تسير اموره على ما يرام . امرأة معيلة تحتاج آلة خياطة نشتري لها الآلة لتعيش مع اطفـالها .

لقد اصلحنا اسلاك الكهرباء واوصلنا النور الى بعض القرى كقرية (الزبابدة) قرب (جنين) . كما قمنا بتعبيد بعض الطرق بين القرى .

ويتابع رجل الدين المفعم بالانسانية وحب البشر والممتلىء فرحا بالعطاء في لحظات الضيق : في الضفة الغربية انشأت مؤسسات خيرية ، تعاونية كالاتحاد النسائي وذلك في عدد من مدن الضفة : بيت لحم ــ بيت ساحور ــ الخليل ــ القدس ــ رام الله ــ جنين ــ طولكرم . اشترينا آلات خياطة وبدأنا تشغيل النساء لاعالة العائلات المتضررة من الاحتلال . كنا نأتي بالاقمشة من لبنان ونخيطها . على هذه الاقمشة التي تتحول الى ثياب وشراشف ، احيينا الفن الشعبي الفلسطيني (الفولكلور) . كانت النساء تطرزن هذا الفن على الاقمشة وكنا نهدف بذلك الى تحدي

العدو ، وتثبيت عروبه فلسطين ، وضرورة التمسك بتراثنا الشعبي واصالتنا التاريخية التي يهدف العدو الى ازالتهما .

ــ لوحظ بعد الاختلال اندفاع واضح للهجرة شجعه العدو باساليب مختلفة . مثل هذه المشاريع الانسانية هل كانت تحد من هجرة السكان ؟

ــ بعد الاحتلال لاحظنا نزوعا قويا نحو الهجرة نتيجة وطأة الاحتلال واساليبه المجرمة لتفــريغ الارض من السكان تمهيدا للتهويد والاستيطـــــان . كان المواطنون يتدفقون كالسيل نحـــو الاردن . وحتى نمنع هذه الهجرة ونوقف النزوح ، كان لا بد من عمل شيء . مشاريعنا كان هدفها الاساسي ان نساعد الشعب على البقاء والصمود والمقـــاومة . ينبغي أن يشعر المواطنون الواقعون تحت الاحتلال ان اسرائيل غازية ومحتلة ، وان هناك من يسند ويدعم هؤلاء المواطنين في غياب الدولة . خذ القدس كبلد للمقدسات المسيحية والاسلامية ، انها تظـــل مقدسة ما دام المؤمنون مقيمون على ارضها . المقدسات ليست الحجارة والآثار . الذي يعطيها الروح القدسية هم البشر المؤمنون الذين يبقون قرب مقدساتهم . اي معنى للحجارة والصخور في غياب الشعب ؟ انها محض مومياءات خالية من اي معنى ! هناك معنيـــان للصمود والبقاء في الارض : معنى قومي ، ومعنى ديني . ان تواجـــد المؤمنين قرب مقدساتهم ضروري والا سلخنا عن القدس قدسيتها . واذا افرغت الارض من شعبها تصبح اسرائيل على حق عنـــدما تقول للعالم : ان ارضا بلا شعب تحتاج شعبا اخر ليملأها . وفي هذه الحالة يصبح التهويد والاستيطان مشروعا . لقد كان علينا ان نلغي هذه المشروعية الاسرائيلية ببقاء وتثبيت السكان العرب في ارضـــهم .

ــ كشاهد عيان رايت اساليب الاحتلال الصهيوني وذقت

مرارته . هل يمكن ان تسرد لنا بعض الاحداث من هذه الاساليب العدوانية واللاانسانية ؟

يزفر ايلاريون كبوشي بحرقة . الذكريات المؤلمة تتجسد امام عينيه الزرقاوين ، وعلى وجهه الاسمر الصلب ، تلوح الظلال المهينة التي اتشحت بها ارض العرب في تلك الايام السود .

الرجل الذي نهض فيما بعد ممسكا بمقبض السيف، مزيحا وشاح الرحمة والحنان، من اجل شعبه المهان والمغدور ، ومقتديا بسيده الهادي الذي جدل السوط وصاح بالصيارفة وباعة الحمام في هيكل اورشليم : « لقد دنستم بيت ابي » . يقول بعد ان يرشف قهوته : لقد عشت الاحداث بالقلب والعقل . كنت في مركز النار . وكنت مشدودا بين الالم والتماسك . ويلي على شعبي وويلي من الانهيار امام الفاجعة . أنا كمطران مؤتمن من الله على شعبي وعلى وطني فلسطين . انني الاب والاخ والخادم . كما قلت لك ، الهجرة ابتدأت كالامواج . كان الاسرائيليون يجهزون الباصات ويصيحون بالشعب : هيا الى عمان . كان هذا مفهوما : افراغ الارض من بشرها . في عام ١٩٤٨ كان عدد المسيحيين (٣٥٠،٠٠٠) الفا الان عددهم (٨٠) الفا . مع الزمن واستمرار الهجرة ترى نفسك وحيدا . انا مطران على البشر لا على الحجارة والاشجار .

لقد انتهك الاسرائيليون الحرمات المقدسة . كنيسة القيامة دنسوها . شربوا فيها الخمر وارتكبوا داخلها الفواحش وسرقوا تاج العذراء من الكنيسة . حرقوا المسجد الاقصى . ما كانوا يتورعون عن التهكم والسخرية بشعائرنا . في يوم الجمعة الحزينة قمنا بمسيرة على طريق الصليب من درب الزيتون الى جبل الجلجلة الذي صلب عليه السيد المسيح ، خلال هذه المسيرة الطقوسية المقدسة ، كان الجنود الاسرائيليون يقفون على جانب الطريق ،

ويبدؤون الهزء والسخرية بنا . كانوا بوقاحة يسفهون شعائرنا وطقوسنا .

الحادثة التي حدثت معي تثبت مدى استهتارهم ووقاحتهم : بعد دخولهم القدس بثلاثة ايام ، كنت اسير بسيارتي في شوارع القدس . في الطريق بصق علي جندي اسرائيلـــي . نزلت من السيارة وتناولته بالعصا . ضربته حتى سقط على الارض : الم يكفكم انكم دنستم الارض المقدسة بأقدامكم الــقذرة حتى جئتم تعتدون على رجال الدين !

لقد مست الصدمة مركز النار .

كان الان يدخل مجال الغضب . وجهه ارتـــدى احمرار اللحظة المستعادة ، فبدا كمسيح الهيكل وهو يمتشق السوط . كل اعضائه كانت ترتعد بتمردها المادي . ثنائي الدين والثورة الذي كان متوازنا ، انشطر في لحظة برق خرجت من مدارها . هو الان ينسل من شغاف الله ليدخل جسد فلسطين ، بل كان يوحد بينهما بانصهار خاص . انصهار ابتـــدعه في حالة اشراق متقمصا فيه روح وجسد المسيح الذي سيصلب مرة اخرى من اجل الوطن في أزمنة الاحتلال :

مع الزمن ضغط كابوس الاحتلال . المواطنون بلغوا حالة من الاذلال والاضطهاد ما عادت تطاق . صـــار الجو مسموما . شعور المواطنين حولني من وضع لآخر . لقد طفح الكيل وما عاد النصح يجدي . بدات ادرك ان كل ما فعلته يبـــدو صغيرا امام وحشية الاحتلال . ما عاد الصمت ممكنا وهذا الحياد بدا لي نوعا من التواطؤ . هؤلاء الغزاة لا ينفع معهم الا السوط ، ولا بد من العنف لكسر شوكتهم وشراستهم .

وهكذا في ٢٢ آذار من عام ١٩٧٤ بمناسبة عيد الام وفي مدرسة الفرير وامام حشد شعبي يضم آلاف المواطنين القيت خطابا ناريا تحدثت فيه عن الام — الوطن وعن وحشية الاحتلال . وقلت بأن وجود اسرائيل غير شرعي معاد للامة العربية . لقد دنست اسرائيل مقدسات المسيحيين والمسلمين متجاوزة كل عرف انساني واخلاقي . ركزت على وحدة المسلمين والمسيحيين كعرب تجمعهم رابطة العروبة والقومية ، ثم قارنت بين المسيحيين في البلاد العربية وبينهم في اسرائيل . في البلاد العربية المسيحيون مواطنون يتمتعون بكامل حقوقهم مثلهم مثل المسلمين لا فرق في الحقوق والواجبات وهم في ازدياد مستمر ، بينما المسيحيون في اسرائيل مواطنون من الدرجة الثانية والثالثة وهم في تناقص مستمر . في البلاد العربية بيوت العبادة والطقوس والشعائر المسيحية مقدسة ومحترمة ، أما في اسرائيل فالكنائس تستباح والطقوس والشعائر تتعرض للسخرية والاهانات . ثم ركزت على عروبة القدس كروح وقلب للضفة الغربية ، وقلت بأن الضفة بلا قدسها كجثة انسان بلا قلب .

ويتابع ملتهبا بحرارة تلك اللحظة التي يستعيدها :

عندما انهيت الخطاب حملني الشعب على الاكتاف ، وانطلقت الهتافات والزغاريد تندد بالاحتلال وتصرخ بعروبة فلسطين والثورة الفلسطينية . لقد قامت القيامة الشعبية ضد اسرائيل .

هذا الخطاب كان نقطة التفجير . اثره احسست بأنني عريت الاحتلال . ما عدت محايدا في الصراع وقد ادرك العدو ذلك فوضعني تحت المراقبة . لقد انتهى زمن السلام والتسامح والوعظ ، وجاء زمن الصدام والعنف . كنت الان كالمسيح الذي راى الهيكل وقد دنسه اللصوص . في مثل هذه اللحظات الحاسمة وحده السوط الذي يجرح ، هو القادر على الفعل المؤثر .

المحـاكمة

« ان الثوري الحقيقي هو ذلك الذي يهتدي بمشاعر قوية من الحب ، ومن المستحيل التفكير بانسان انه ثوري حقيقي وهو متحرر من هذه الصفة . وربما كانت هذه الصفة من اكبر المآسي التي يعاني منها القائد ، ذلك انه ينبغي عليه ان يمزج بين روح تتأجج بالانفعال ، وبين عقـــل بارد يتخذ قرارات قاســـية دون ان يرف لـــه جفن » .

غيفـــارا

مضى على حواراتنا اسبوع . كانت اللقاءات مفعمة بالثقة والصراحة . وكان التعارف قد تحول الى مودة تسمح لبعض الاسرار الشخصية والعامة ان تروى بلا حرج .

في نهاية الاسبوع انتقل من الرهبانية الالمانية « سانتا ماريا » الى الرهبانية اللبنانية في « السلفاتور مونتي » بمنطقة مونت ـــ فردي نفسها . وكان مغتبطا بانتقاله الى جو عربي .

كانت هناك غرفة صغيرة ، تحتوي على مكتبـــة ، وخزانة وزعت فيها معروضات اشغال يدوية شعبية صنعتها الراهبات ، وعلى الجدار المجاور تمثال فضي للسيد المسيح على الصليب .

في هذه الغرفة كنا نجلس ونتحدث خلال ساعتين او اكثر . كان الحوار ينقطع احيانا بدخول احدى الراهبات لابلاغه بوقت الغداء او مواعيد الزوار ، واحيانا كان يؤجل ونتابع الحوار .

كان برنامجه اليومي مليئا دائما باللقاءات والاستقبالات . رجال دين . صحافة . تلفزيون وسينما للاحاديث والتصوير . دبلوماسيون . ثم الاصدقاء والاهل والمعـــارف القدامى . كانت الرهبانية كخلية النحل . وكان عليه ان ينظم اوقاته بدقة ليفي بهذه الالتزامات . كان هذا يؤكد مـــدى الاهتمام العربي والعـــــالمي بقضـــيته .

ومع انه خارج من سجن وعذاب السنوات الثلاث المريرة ،

ومصاب في فقراته « بديسك » ابان السجن ، ويعاني مرارة المنفى ، الا انه كان يزخر بالحيوية والدينامية .

قليلا ما يظهر عليه الارهاق رغم احتشاد وقته بالعمل ، واذا ما بدا عليه الاعياء ، كان يكابر ليبـــدو بكامل طاقته العضوية والنفســـية .

ــ لكانه غير مسموح لك ان تتعب ؟

ويرد بابتسامة أسية : كبوشي معناها الحـــــارس وعلى الحارس ان يظل يقظا ونشيطا . هذه ضريبة النضال كما ترى !

عبر احاديثـــه الاجتماعية المفعمـــة بالحـــرارة والعفوية ، وبالسخرية والمرح المميزين ، يتجلى بخاصية الصعود المتنـــامي للطاقة ، وكمتحدث بارع ومتـــزن ، لا يجمح ولا يشـــتط خارج السياق ، يظل محافظا على ينبوع القدرة الداخلية الذي لا ينضب .

وفي اللحظة التي يتجلى خلالها مرحا كطفل في ذروة حبوره ، يمكن ان يتحول مع الانعطاف نحو الامور السياسية الجادة ، الى رجل صلب ، غاضب ، مصهور بحرارة الايمان ، وبعنف الثوري الذي يرفض المساومة ، ولا يخشى في الحق لومة لائم .

ولانه اعتاد العمل الجماعي في مجاليه : الديني والسياسي ، فهو يتألق بالحضور البشري .

عندما يتحدث تلمح فيه روح القائد . تدرك ذلك من خلال تحليله للاوضاع السياسية . التحليل العميق والشعبي . تفصح عنه حركات يديه ولمعان عينيه ، ثم وجهه النابض والمشع بالحرارة واللـــون .

يقول : العمل الجماعي يعطيني زخما . الانسان مع الجماعة لا يخاف لا السجن ولا الموت . الجماعة جدار امان تستند اليه في

اللحظات الصعبة .

ثم يستطرد : انما على الفرد ان ينصهر في المجموع . في المحن . الانا لا معنى لها بدون الاخر . هذا الاخر هو الذي يعطيها القيمة . على الانسان ان يغذي نفسه ويغذي الاخر وهذا لا يتم الا بالروح الجماعية . روح المحبة التي يقول عنها القديس بولس : « لو كان لي الايمان كله حتى لأنقل الجبال ولم تكن في المحبة ، فلست بشيء . ومن أحب القريب فقد اتم الناموس » .

ويضيف : من هنا تأتي قيمة الثورة . انها تخلق حبا ووعيا وتماسكا بين البشر ، فيبدو الانسان حجرا في بناء ضخم . ان الثورة تنمي روح المسؤولية وتفتح الأمكانات والطاقات المخزونة .

لقد حولته الثورة والالم العميق الى رجل يحمل قلب طفل ، وقبضة مقاتل ، وعقل حكيم .

ولأنه كان يحمل بذرة التحول والخروج منذ الطفولة ، لم تكن مواقفه واعتقاله وسجنه ، مفاجأة .

كان يواصل بجدارة ، ميراث الآباء الروحيين الذين اختاروا الوطن في لحظات الضيق والمحن ، تعبيرا عن ادراكه العميق للروح المسيحية بما هي تضحية بالدم من اجل محبة البشر .

وبالنسبة له كان ثنائي الحب العميق والعنف بما هو صرخة في وجه الشر ، يولدان في داخله حالة تواشج لاحالة تعارض .

كانت حالة ايلاريون كبوشي ، تذكر بالثائر الكولومبي (كاميلو توريس) الراهب الذي غادر الكنيسة الى الثورة بعد ان ادرك : « ان الطرق الشرعية قد استنفدت ولم يبق من طريق سوى النضال المسلح » .

هو كان متسقا مع نفسه في مدار هـــذه الحالة . وعندما تسأله عن التكريس الكلي للروح والكنيسة ، يتحدث عن التاريخ المكافح للكنيسة الكاثوليكية ، وعن المعلم الاول الـــــذي أفتدى البشرية دفاعا عن الحق .

ولأنه كان مقتنعا انه يجـــــدد المسيح في عصور الاباطرة الطغاة ، ولد الاحتلال الاسرائيلي ووحشيته ، كحالة موضوعية ، تقاطعا تركيبيا مع النزوع الداخلي للافتداء والتضحية .

وهكذا اعتقلوه في الثامن عشر من آب من عام ١٩٧٤ بتهمة حمل الاسلحة والمتفجرات للثورة الفلسطينية . ومنذ هذه اللحظة الغريبة والتي تبدو مفارقة ، سيبتدىء تاريخ جديد لرجل جديد في سجل المقاومة العربية عبر الكنيسة .

لقد ربحت القضية الفلسطينية بما هي حق ، وبما هي قضية شعب منزوع من ارضه بقوة الســـــلاح والعنف الصهيوني ـ الامبريالي ، رجلا من الكنيسة . رجلاً لا كالرجال العاديين . الرجل الذي سيكون فضيحة اسرائيل والعاصفة التي ستنتشر عبر العالم ، حاملة داخل امواجها شاهد الجريمة وصليب فلسطين المعاصر .

ـ بعد توقيفي وضعوني داخل زنزانة في (بيت شيمش) . التحقيق كان يستمر ليلا نهارا . حرموني من اي كتاب صلاة او كتاب مطالعة . السرير والفراش كانت رائحتهما لا تطاق . اخذوا ساعتي وهددوني بالقتل اذا ما كتمت اي سر . ضابط السجن اليمني ـ اليهودي واسمه (عبودي) كان يقول لي : انت أحط من اي سجين عادي . كهنوتك هنا لا يفيدك في شيء . عليك ان تتخلى عن الامـــل .

وفي سجن (كفريونا) بعد نقلي ، وضعوني بين المساجين اليهود المجرمين واللصوص الذين شتموني وملؤوا ليلي ونهاري بالصراخ والشجار والسباب البذيء .

ليلا نهارا كنت في حالة يقظة . شكوت البرد والرطوبة داخل الزنزانة المنفردة وكان الجـــواب : انت سجين عادي كبقية المســاجين .

ومع ذلك بقيت متماسكا . الالــم والعذاب صهرني بالله وقضيتي . كان معي الله وفلسطين . من اجلهما كنت اتعذب وكان هذا يملؤني بالامل والمقاومة . عندما نقلوني من (بيت شيمش) الى سجن (كفريونا) رفعت اصبعي باشارة النصر ، واستفز الضابط الاسرائيلي المكلف بحراستي . قال : هذه الاشارة يقوم بها الاطفال ! ولكنني صحت في وجهه : اخرس ! تريد ان تعلمني ؟ انا اعلم ماذا تعني هذه الاشارة وعندما اعمل عملا اعرف ماذا افعـــل .

كان الآن يعبر لهيب التجربة ، ولم يكن ذلك بالامر العرضي . لقد اختار ان يكون في مركز الاعصار والعاصفة . ومع ان الخطر كان يحيط به وهو ينفذ مهمته قبل الاعتقال ، الا أنه كان مقتنعا بأنه يصنع شيئا عظيما يرضيه ويرضي ربه ويرضي وطنه . وفي الوقت الذي كان فيه الكثيرون يهابون أو يتراجعون او يخشون خسارة انفسهم ومكاسبهم ، كان يتقدم ويقتحم ليربح نفسه ووطنه ، وليكون جديرا بفلسطين التي دقت ساعة قيامتها .

لقد اثبت في لحظة المحنة أنه الابن البار للفــادي الاول ، وباليقين ذاته استدل ان المسيح انما ضحى من اجل شعبه ثم من اجل البشرية ، ولأنه كان ابنا بارا ، خلق من حالة الصـــدق والتضحية مسارا فدائيا توهج به واضاءه الى الثورة .

كانوا مصعوقين بموجة من العصاب والهستيريا العدوانية وهم يحاكمونه . لقد قالوا : لم يفضح ولم يتحد انسان محاكمنا كما فعل هذا الـــ « كبوشي » . لقد حول محاكمته الى مهزلة ضد اسرائيل ومهرجان بطولة للعرب .

كان يرفع راس العرب عاليا في الوقت الذي خيل فيه للغطرسة الاسرائيلية انها مرغت ذلك الراس في وحول الهزيمة . ولأن العرب عبر التاريخ ينامون طويلا فيعتقد اعداؤهم انهم موتى ، كان صوت ايلاريون كبوشي بمثابة جرس الاستيقاظ : هبوا ايها النوم فالانقراض على الابواب .

وما كانوا لينقرضوا . ان جذورهم تضرب في اعماق الحقب . وكما يقول (أرنولد توينبي) عنهم : « ان جذورهم الحضارية عصية على الاقتلاع . انهم يعودون دائما الى مسرح التاريخ بصدمة التحدي لأن خميرة الحياة فيهم قوية . ان الدورة التاريخية القادمة ستكون لهم في صراع الموت والحياة مع اسرائيل » .

وهكذا كانت الفضيحة والورطة الاسرائيلية ذات مستويين : رجل دين ليس مسلما يرفع صوته وقبضته في وجه اسرائيل العدوانية ، فيصل هذا الصوت الى اعماق العالم المسيحي الغربي ، ليوقظه على صوت الحق العربي المختنق والمحتل .

ورجل ثوري ملتزم بالمقاومة يؤكد شرعية النضال الثوري ويجهر به ، مدينا بصوته لا شرعية الوجود الاسرائيلي برمته .

ومع ذلك فان الروح العدوانية ، وحالة العصاب العسكري التي تحكم مجتمع اسرائيل ومؤسساته ، ضربت عرض الحائط بالمسألة ، هازئة بكل القيم الروحية التي يمثلها رجل الدين المعتقل ، ومتخطية الوضع الفضائحي على المستوى السياسي — العالمي وانعكاس هذا الوضع سلبيا ضد اسرائيل .

وفي الوقت الذي كان فيه ايلاريون كبوشي يتحول الى بطل ثوري عبر المحاكمة والسجن والاضرابات المتوالية داخل الزنزانة ، ويصير رمزا دعاويا للصمود العربي والفلسطيني ، هاتكا الطبيعة البربرية لمجتمع مشروط بالعنف والكراهية ، كان الاسرائيليون يواصلون حماقتهم حتى الاقصى في دعم وترسيخ واشهار القضية

الثورية لرجل الدين الواقع تحت قبضة « العدالة » الارهابية للدولة التي احتلت بالعنف اراضي العرب .

في سجن بلدة (بيت ليد) التي تحولت بقوة الاجتياح الاسرائيلي الى (كفريونا) بعد تغيير معالمها وتهويدها ، وضع السجين « كبوشي » داخل زنزانة منفردة ، قيد المحاكمة . لم يكن السجن سجنا سياسيا . كان يغص بالسجناء والموقوفين اليهود المتهمين باللصوصية والقتل والجرائم الجنسية . لقد نقلوه اليه امتهانا واذلالا واستخفافا ، ووضعوه تحت أقسى الظروف محروما من رؤية النور والكتب والصحف والتدخين ، معرضا لهزء المساجين به وضوضائهم ، واحتقار مدير السجن وازدرائه .

بعد سلسلة من الاحتجاجات ضد ظروف السجن القاسية ، والاضراب عن الطعام ، حضر وزير الشرطة (هيلل) وعرض على كبوشي الانتقال من سجن (كفريونا) الى سجن (الرملة) شريطة ان ينهي الاضراب ، ووافق السجين على الانتقال تحت شرط ان يوضع مع المساجين السياسيين العرب .

ابان ذلك كان سير المحاكمة يجري داخل حالة من التوتر والوحشية ، والمحاولات اليائسة لانتزاع الاعترافات ، وفي الوقت الذي رفض فيه المتهم التهم المنسوبة اليه وندد بشرعية المحكمة المنبثقة عن دولة محتلة تنتهك القدس العربية ، وتحاكم رجلا يتمتع بحصانة دينية ، كانت المحكمة العسكرية تواصل عملها في انتزاع الاعتراف من رجل الدين بالقوة .

وهكذا ابتدأت قضية ايلاريون كبوشي تنتشر كالنار في الهشيم عبر الوطن العربي والعالم .

قبل النطق بالحكم عليه طلب الكلام . كان مدركا انه قد ادين بقانون القوة ، كما كان مدركا أكثر انه الان يتقمص معلمه الفادي الذي صلبه الاجداد الاوائل لهؤلاء الذين سيصلبونه الان . ولأنه تخطى بقوة روحه مخترقا الارضي نحو السماوي ، تكلم بعنف الذاهب الى اقصى الالم :

« لن اوجه كلامي اليكم ، بل ساوجهه الى معلمي يسوع المسيح الذي في السماء ، والذي يبكي ما حل بالمدينة المقدسة مهد الديانتين : المسيحية والاسلام . المدينة التي تدنس من قبل الغزاة ، وتخرق حرماتها .

واني اصلي من اجل الدولة الفلسطينية .

انني اقدس السلام واومن بالمحبة ، وعلى خطاك يا سيدي ستقدس ارضنا هذه . الارض التي تحب والتي تدعى فلسطين .

يا معلمي ويا سيدي يسوع : انت النور الى العالم وهم الظلام . فليلحق العار بهؤلاء الذين شوهوا القدس .

انني اسير الغزاة البرابرة .

سانقل الى هيئة المحكمة ما يخالج قلبي من شعور في نهاية مدة طويلة من العذاب .

من قمة جبل الزيتون نظرت يا يسوع الى القدس وقلت : « سياتي يوم تحاصرين فيه من جميع الجهات . وسيدمرونك ويدمرون اولادك » . اذا نظرت الان من السماء فستجد ارضك والقدس تماما كما بكيت عليها ، وستجد ابنك الحقيقي مقيدا بالسلاسل وتبكي .

وها انذا سجين عذاب الفاتحين وضحية قوة الحكام . يا يسوع اننا جميعا من بني الانسان ماضون على الجسر

الى الابدية ، لكن ارضك ازلية ، وستظل اقوى من قوة الفاتحين وقوانينهم .

لقد علمتنا محنة ارضك وارضنا ، الدفاع عنها ، وقد فعلنا ذلك وأطعنا لأننا جنودك ، وستظل القدس ، مهد المسيحية ، حرة الى الابد على الرغم من افعالهم .

انت المحبة يا ربي ويا سيدي يسوع ، وهم الظلم . انت النور وهم الظلام ، ورايتك يا سيدي هي رمز المحبة والحــرية ، وستظل رايتك مرتفعة ، خفاقة .

الخزي والعار لاولئك الذين يدنسون الارض المقدسة .

يا سيدي يسوع انني اقدس ارضنا . ارضنا العزيزة التي تعرف باسم فلسطين » .

داخل غلاف من صمت مقدس ، القى كلمته المقدسة — الصاعقة . كان يتشح مسيحه وهو ينصهر بالروح والمادة . بالله والارض : « الارض العزيزة التي تعرف باسم فلسطين » .

وكان متسقا مع نفسه .

وكان متسقا مع الزمن .

النفس التي رات الحق انجيلا فاستضاءت به .

والزمن — التاريخ ، صراع بين المضطهدين والمضطهدين على ارض فلسطين التي سموها بقوة السيف « اسرائيل » .

لقد كان ايلاريون كبوشي وفيا للميراث الثوري للكنيســة الكاثوليكية الذي ضحى من اجله الراهب وعالم الاجتماع كاميلو توريس ، في غابات كولومبيا ، عندما اجاب على قضية الشعب

والكهنوت ومسألة الالتحام والتعارض بينهما . « لقد وجدت من اجل رسالتي الكهنوتية ورسالتي الثورية ان ابرهن عن استعدادي لخدمة قضية شعبي ، لذا عندما طرحت علي المعضلة التالية : الاستمرار داخل النظام الاكليركي ، ام متابعة النضال الثوري ، لم يعد بوسعي ان اتردد ، والا اكون قد خنت الثورة » .

بعد أن انهى ايلاريون كبوشي كلمته ، سالوه باستغراب : لماذا هذه الكلمة النارية قبل صدور الحكم ؟

واجاب : اذا كان هناك من ضرورة لاعادتها فانا علـــى استعداد لذلك . انني اعرف جيدا ماذا قلت ولماذا .

— ولكن ذلك سيكلفك حكما اقسى ؟

وابتسم هازئا : انني اعرف أنهم قد حكموا علي منذ زمن طويل . لست افضل من شعبي السجين ، المعذب .

لقد دفع ثمن كلمته اربع سنوات اضافية . اثنا عشر عاما بدلا من ثماني سنوات .

مرحبا أيها السجن

« تطلب الحرية بين جدران السجون واحيانا فـــوق اعواد المشانق ، ولا تطلب ابدا في المجالس والمحاكم او المدارس » .

غاندي

عندما نطقت المحكمة بحكمها الجائر على ايلاريون كبوشي باثني عشر عاما قال : لا بد من كبش للمحرقة وانا سعيد في ان يكون الله قد اختارني لاكون هذا الكبش . انني ادعو ، وانا اغلق ابواب السجن الصغير خلفي ، ان تنفتح ابواب السجن الاكبر ليخرج الاهل من الظلمة الى النور » . وفي الطريق الى أعماق الظلمة والرطوبة ، سأله الصحفيون وهو مكبل بالسلاسل وتحت حراسة الجند : لماذا فعلت ذلك ؟

وقال وهو يرفع جبهته عاليا : لقد اردت في عملي ان اجمع لا ان افرق . ان اقرب لا ان ابعد . وفي كل عمل لا بد من اكباش للمحرقة ، لقد قالت العرب : ان الحجر المدفون يكسر رأس المحراث . والحجر ما زال مدفونا ، والمحراث راسه مكسور ، والارض لم تحرث بعد ، ولم تأت الا بالشوك ، وما اردته هو اخراج الحجارة المدفونة كي احرث الارض لتخضر وتثمر ثمارا صالحة وتجلب السلام والمحبة للبشر . هكذا بعملي صرت شمعة تحترق لتضيء الطريق للاخرين .

كانت الزنزانة المنفردة في سجن الرملة ضيقة : ١٤٠ سنتمترا عرضا و ٣ امتار طولا ، ترشح رطوبة وروائح كريهة ، وكانت الحراسة شديدة ليلا ونهارا .

كل خمسة عشر يوما كان يسمح له بالخروج لمدة نصف ساعة للحركة ورؤية بصيص من النور . وعلى مدى اشهر حرموه من الكتب والراديو والاتصال بالاخرين .

واذا تسأله : الم يكن هناك من امتياز ما ، احترام خاص ، للثوب الكهنوتي ؟

يجيب : حتى ثيابي الكهنوتية جردوني منها . كان شرطة السجن ينادونني باسمي المجرد احتقاراً . لقد اضطررت لضرب احد هؤلاء الشرطة الوقحين .

ويضيف باحتقان مفعم بالمرارة : في سجن الرملة ضربوني وهزئوا بي . كان هدفهم اذلالي وامتهاني وكنت ارد على ذلك بالاضرابات . الاضراب الاول امتد اربعة اشهر ونصف . نقص وزني خلالها /٢٥/ كيلوغراما وخلال هذه المدة ما كانوا ليكترثوا بي . لقد أغمي علي ثلاث مرات . اضطروا لاعطائي الطعام المؤلف من الحليب والبيض بوساطة انبوب ولكنني رفضت تناول الطعام .

امام هذا الاصرار العنيد حضر احد كبار الضباط الاسرائيليين ومعه مدير السجن ونائبه ومعهم خمسة من الشرطة . هيئة اركان السجن اقتحمت زنزانتي . كنت مرتديا ثوبي الكهنوتي والايقونة الرعوية عن قصد علهم يحترمون اللباس الديني . اتعلم ما الذي فعلوه ؟

كنت انظر اليه بتركيز وهو يمثل ما حدث معه . كل اعضائه تحفزت . كان وجهه يشع بالغضب والاشمئزاز وهو يروي بالحركات :

ثوبي مزقوه تحديا . جاؤوا بالانبوبة التي يعطى الطعام بها بعد ان أمسك شرطيان برجلي ويدي وكتفوني . احد الشرطة

ضغط على فمي وحاول فتحه بالقوة ، بينما كان الاخر يدفع الانبوبة الى حلقي . كانوا يضغطون على قدمي بأقدامهم وانا امانع وأصرخ : لا اريد . لا اريد طعاما . من جراء ضغطهم سحقوا اصابع قدمي ونفر الدم .

— وما آلذي كانوا يهدفون اليه من هذه العملية ؟

يستند الى كرسيه بشيء من الراحة . يشعل لفافة ثم يمسح جبينه فترتخي قليلا اعصاب الغضب : اضرابي كان يشعل نار قضيتي كلما اعتقدوا انها خمدت . هذا الاضراب انتشر في الوطن العربي والعالم وبدأت صحف العالم والوطن تتحدث عنه . كنت موشكا على الموت . اية فضيحة ان يموت كبوشي في سجون اسرائيل ! كان ذلك سيثير ضجة ضدهم في كل انحاء العالم ، يضاف الى هذا استغلال الحدث على المستوى العربي . كانوا يهدفون الى تطويق آلوضع خوفا من تفاقمه وانعكاساته السلبية عليهم .

السنوات الثلاث في الزنزانة ، كانت زمن الاختبار والصهر في المحنة . يونس النبي اختبر في بطن الحوت . كان ذلك رمزا لمقاومة الظلام ، ولكنهكان ايضا تجربة للنفس في الصعود نحو الاعلى والى الامام .

عندما قال عمال كولومبيا لكاميلو توريس : « عليك ان تذهب الى الامام » ، لم يتردد لحظة بما كان عزيزا وعميقا بالنسبة له . في البدء ضحى بالطقوس الكهنوتية ، وفيما بعد ضحى بالنفس والدم في غابات كولومبيا مع الثوار .

وفي ظلام سجن الرملة ، كان ايلاريون كبوشي يقدم النفس والجسد طعاما للنار الفلسطينية التي اندلعت من مشارق الشمس الى مغاربها .

وفي سجن الرملة لم يكن معه غير الله والامل : نور الله كان يضيئني فتسمو النفس وترتفع ، وفلسطين الامل العظيم كانت تشد الجسد والعزيمة فتشتد عزائم الرجال بمقاومتي واحتمالي . كنت اعلم انني صرت مقاتلا في اوسع ساحات القتال من اجل شعبي . مسيحي كان قدوتي ومعلمي الفدائي . بالموت قهر الموت ، وبالنور قهر الظلام . والفدائي ليس مخربا كما يزعمون . الفدائي مخلص .

هكذا كنت في العذاب ابني بيتا على الصخر . بيت يتحدى العواصف .

ـــ اكنت تصلي في السجن ؟

ـــ بلى . بلى . الصلاة تطهير . عزاء في وقت الشدة . عندما راى المسيح كأس الموت صلى وقال لابيه : « يا ابت ابعد عني كأس العذاب » . انا كنت اصلي في اعماق الظلام نادها الهي لياخذ بيدي في طريقي المغروسة بالاشواك والآلام . حياتي ذبيحة اقدمها لاولادي ووطني . لابناء فلسطين كأمانة في عنقي . هم ايضا كانوا يتعذبون تحت نير الاحتلال . كنت اصلي لهم لينتصروا .

مع الزمن والليالي الطويلة ، تآلف مع سجنه . سمحوا له ببعض الصحف والكتب الدينية والتدخين ، كما سمح لبعض رجال الدين من اصدقائه بزيارته كل اسبوعين تحت المراقبة .

لم تكن ادارة السجن لتسمح له بالرسائل ، ولكنه كان يكتبها فتخرج بطريقة سرية . كتب الى الاخ ابو عمار والزعماء العرب والى البابا كما كتب الى امه التي تحطم قلبها عندما سمعت بمحاكمته وسجنه فحاولت الانتحار من شدة حزنها .

عندما يسرد كيف حاول ان يكتب لامه ، تلمح في عينيه بريق دمع موشك على الهطول : عذاب والدتي من اجلي كان جارحا . انها الوحيدة التي تتعذب اكثر مني . عندما حاولت الكتابة اليها ابتلت ورقة الرسائل بالدمع . اخيرا كتبت لها وناشدتها الغفران والصلاة من اجلي والصبر والايمان . قلت لها : كما علمتني بأن العمل بلا عذاب كبيت من رمل هانذا اتعذب لانني عملت من اجل الله وشعبي . وانا اتألم اقتدي بسيدي ومعلمي الذي تعذب ومات تحت العذاب ولكنه قام . لقد حمل صليبه وسار الى الموت وانا احمل صليبي واتبعه . انا وامتي نتعذب ولكننا سننهض كما نهض . صلي من اجلنا يا امي في هذا الوقت الصعب . تماسكي وكوني قوية وارفعي راسك عاليا لان ابنك عرف الحق فاتبعه ومن اجله ضحى .

وفي السجن يتعلم اللغة الانكليزية . كان هناك عالم انكليزي محكوم بتهمة التجسس لحساب احدى الدول العربية ، وضعوه مع كبوشي فترة من الزمن . خلال هذه الفترة تعاونا معا في تعلم اللغة وفي صنع تمائم من خشب الزيتون . على هذه اللوحات رسم المطران كبوشي شعارات واسماء ورموز اكثر من دولة عربية وارسلها خفية الى الرؤساء العرب ، كما رسم على لوحات اخرى رموز تآخي الهلال مع الصليب وارسلها سرا الى المعتقلين العرب في السجون الاسرائيلية .

حتى وهو في السجن كان يناضل وكان يقلقهم . وفي الوقت الذي كان يحرك فيه قضيته بالاضراب واللوحات والاتصال مع السجناء والمسؤولين العرب لتظل القضية حية وحارة في الضمير العربي والعالمي ، كان يخشى في اعماقه ان يطلقوا سراحه ويبعدوه .

لقد اثارت قضيته اسرائيل والعالم . ولم تكن الضجة التي انتشرت كالرعد اهانة له او أدانة . كانت الاهانة والادانة موجهة الى اسرائيل في القلب . لقد كشف رجل دين من خلال محاكمته وسجنه ، الوجه البشع للبربرية الصهيونية .

وداخل اسرائيل كان الجدل حادا للخروج من هذا المأزق . وطرحت بجدية مسألة ابعاده ولجـــوئه . وعندما قال له مدير السجن : ان مجدا عظيما ينتظرك اذا لجأت الى دولة عـــربية . اجاب : لا اريد مجدا كهذا . لقد كان لي مثل هذا قبل اعتقالي . انني افضل البقاء كسجين هنا على الحرية في اي مكان اخر . انا واثق كل الثقة بأنني سأستقبل استقبال الملوك في اي بلد عربي اذهب اليه ، وهذا شرف لا ابتغيه ولا استحقه ، ومع ذلك افضل البقاء في فلسطين كانسان بسيط على ان ابعد عنها .

وفي قاعة المحكمة قبل النطق بالحكم ، اثيرت قضية الابعاد والطرد . وصرخ كبوشي وهو يرفع قبضته : هذه بلادي وليست بلادكم . اذا ابعدتموني فسأقيم في خيمة على الحدود مع المشردين والمنفيين الفلسطينيين . انا لست افضل من اولئك الذين يعيشون في الخيام منذ ست وعشرين عاما .

وهكذا عندما دخل الفاتيكان طرفا في قضية اطلاق سراحه ، وجدت اسرائيل فرصتها المناسبة للتخلص من وزر مسيح جديد في طريقه الى الجلجلة ليكون الشهيد والشاهد على العنف الدوري — التاريخي « للاسرائيلي » المسمم بالحقد ضد الجنس الاخر . هذا الجنس اللايهودي من « الاغيار » المنحطـــين ، قياسا بالجنس اليهودي « المتفوق » والذي قال عنه « هرتزل » : « ان جنسنا اكثر فاعلية في كل شيء من باقي شعوب الارض » .

كما اكد « موسى هس » احد غلاة الصهاينة المتعصبين ، هذه الفكرة العرقية ، التي تتجاوز حتى الايديولوجيا النازية عندما قال : « ان كل يهودي يتمتع بمقومات نبوية ، وكل يهودية تتمتع بمقومات الام العذراء » .

والتقط « بن غوريون » احد مؤسسي « اسرائيل » هذه الفكرة ، رافعا الجنس اليهودي الى مرتبة « الآلهة » الانقياء عندما قال : « انني اؤمن بتفوقنا الخلقي والفكري بحيث يستخدم كنموذج لاصلاح الجنس البشري » .

لقد كانت النقطة المركزية في مساومة اسرائيل للافراج عن الراهب الذي صار ملء سمع وبصر العالم ، هي : الا يشكل اطلاق سراحه خطرا حقيقيا على اسرائيل .

وليكون هذا « الخطر الحقيقي » بعيدا عن التأثير ، اشترطت اسرائيل على الفاتيكان ضرورة ابعاده ونفيه لا خارج اسرائيل وانما خارج البلاد العربية . ولم تكتف بذلك بل راحت تبتز الفاتيكان لانتزاع الاعتراف البابوي بالدولة العبرية وبالقدس عاصمة لاسرائيل مقابل حرية كبوشي .

كان الخلاص من قضية كبوشي ، خلاصا من الكابوس الجاثم على صدر اسرائيل . خلاص من السجين المسيحي الذي اعلى شان هو الفرع كما عبر في كلماته ورسائله : **« قوميتي هي الاساس لمسيحيتي . وما لم اكن عربيا حتى الدم فلست مسيحيا . مسيحيتي عقيمة وواهية امام عروبتي . العروبة هي الاصل وبفقدانها افقد مسيحيتي . لقد تعرفت على المسيحية من خلال هذه العروبة التي اعتز بها اعتزازي بالله »** .

كان الخلاص من هذا الراهب العربي ، خلاصا من شاهد عيان ، عاين الاعمال اللاانسانية داخل الارض المحتلة ، فكان ضحية من ضحايا البربرية الاسرائيلية التي شهدتها مجازر « دير ياسين » و « كفر قاسم » و « السموع » و « قلقيلية » ومعسكرات الاعتقال ، ومحو القرى العربية من الوجود لاقامة المستوطنات اليهودية .

ـ لقد اشترطت اسرائيل ان ابعد وانفى والا اهاجمها . لماذا ؟ لانني اعرف حقائق الاحتلال الاسرائيلي عن كثب . وهكذا فأنا فضيحة اسرائيل .

ويستطرد بثقة مـــن تجاوز العذاب والتهديـد بالمنفى : الاسرائيليون يخطئون وهم يتوهمون ان صوتي سيخمد حتى في المنفى . سيظل صوتي عاصفا وداويا يلاحقهم حتى الرمق الاخير .

وهكذا في سياق هذا الجدل بين محاولات التدجين والمساومة والابتزاز ، وبين الثبات والرفض والتحدي ، كانت مسألة الافراج عن ايلاريون كبوشي تأخذ مجراها ، لا كمسألة فردية لراهـب مسيحي سجين يعاني العذاب والالم اللاانسانيين ، بل كمسألة عامة وسياسية ، تمس صميم الصراع العربي ـ الاسرائيلي ، دافعة هذا الصراع نحو حده الاقصى وجدليته التي لم تحسم .

المنفـــى

« ــ يبدو انك تحملت نصيبك من المصائب .
ــ بالفعل فقد لحقتني المصـــائب .
ــ وما أنزل بك هذه المصائب ؟
ــ ارضي التي سلبت مني .
ــ وهل سلبوا منك اراضي كثيرة ؟
ــ حقولي الجميلة الخضراء كلها » .

و. ب. ييتس

العالم يتحدث عن الافراج عن ايلاريون كبوشي .

الصحف والاذاعات عبر الوطن العربي والعالم ، تنقل اخبارا عن وساطة الفاتيكان مع اسرائيل لاطلاق سراح المناضل السجين .

لا شيء مؤكـــد بعد .

محض احتمالات ، واسرائيل تسوف وتساوم . الصفقـــة السياسية ترمي الى اعتراف الفاتيكان بالقدس عاصمة لاسرائيل مقابل حرية كبوشي .

الكنيسة البابوية الأم تدخل مضيق الاحراج .

الصراع العربي ــ الاسرائيلي يخترق حياة ايلاريون كبوشي ليكون الفـــدية ايضا .

وبين الدين والثورة يعبر ايلاريون كبوشي على حد السيف . الحد الذي اختاره منذ الطفولة . وأن يبقى في ظلال الزنزانة او يخرج طليقا نحو المنفى ، ستظل جراحه تنزف .

ولأن اختيـــاره سقط على بوابة الســـــجن ، وقع ضحية المســـاومة .

اسرائيل راغبة في محو اسطورته كبطل مقاوم يذكر اوروبا بالمسيح الشهيد على يد اليهود ، والعرب توجوه رمزا وامثولة لكفاحهم المعاصر .

والفاتيكان راغب في اعادة هذا الخارج ، الى حظيرة الكنيسة

والروح القـــدس .

ان جدل الدين والثورة يطرح المنفى على نحو ماساوي لم يكن السجن اكثر فاجعية منه : انني اردد مع المسيح « نفسي ايضا حزينة » . ان الشروط القاسية التي امليت لاطـــلاق سراحي ، تشعرني بانني خرجت من سجن لأدخل سجنا اكبر . سجن اقسى واشد مرارة . فاذا صح ما قيل لي مـــن انه ستقوم ـ من الآن وصاعدا ـ اسوار منيعة شاهقة بيني وبين امتي وابنائي وابناء امتي ومشرقي ، واذا كانت ابواب البلاد العربية ، بلادي ، ستوصد في وجهي ، واذا كانت يداي ورجلاي ، وحتي لساني سيكون مكبلا بالسلاسل فأنا والحال هذه في سجن كبير . انا اسير اذن وسجين ، وهذا حكم اشبه بحكم الاعدام .

هكذا تكلم للمرة الاولى بعد اتمام مراسيم نفيه ، وبعد ان وصل الى روما .

ان هذه الكلمة لا تعكس عمق المرارة فحسب ، ولكنها تؤكد المدى الفجائعي للروح المتمردة وهي تصطدم بالاسوار . الروح التي غلبت على امرها في لحظة عراء ، عندما لم يكن هناك مجال للاختيار بين الضوء والظلمة ، وعندما صار ايلاريون كبوشي شجرة عارية في صحراء :

« انا اليوم لست المطران كبوشي . انا جثة متحركة للمطران كبوشي . لقد رويت ارض فلسطين بدمي ودمعي . انني متزوج من القدس وسأبقى كذلك في المنفى » .

لقد اطلقوا سراحه اذن !

وكانت الشروط قاسية :

١ ــ الا يشكل الافراج عنه خطرا على اسرائيل .
٢ ــ الا يقيم في اي بلد عربي .
٣ ــ الا يقوم بأي نشاط سياسي معاد لاسرائيل .
٤ ــ ان يبعد كرجل دين الى امريكا اللاتينية .

وفي ٣٠ تشرين الاول يوزع مكتب الرئيس الاسرائيلي (افرايم كاتزير) نص رسالة البابا بولس السادس التي جاء فيها: **((اننا شديدو القلق بسبب الاوضاع الصحية الحالية الخطيرة للمطران ايلاريون كبوشي . وقد تلقينا طلبات كذلك من اوساط عدة لايجاد حل عبر مساعينا . لذلك فنحن نطلب من سعادتكم استخدام حقكم في العفو والافراج عنه من السجن . واننا واثقون من ان هذا الافراج لن يشكل خطرا على دولة اسرائيل . ولا يمكن لخطوة كهذه الا ان تعتبر خطوة صداقة ولطف نحونا ، وستحظى بتقدير حقيقي)) .**

وفي مساء السادس من تشرين الثاني من عام ١٩٧٧ يفرج عن ايلاريون كبوشي الذي امضى في سجون اسرائيل ثلاثة اعوام وثلاثة اشهر .

وتسرد الصحف وانباء العالم تفاصيل رحلته من السجن حتى وصوله الى رومـــا :

في الثامنة مساء من يوم الاحد ٦ ت٢ ١٩٧٧ وصل مطـــران القدس لطائفة الروم الكاثوليك ، الذي امضى ٣ اعوام في سجن الرملة ، الى مطار اللد في قافلة من اربع سيارات وسط حراسة اسرائيلية مشددة . بعد أن صعد جميع الركاب ، اتجه المطران الذي يرتدي ثوبه الكهنوتي الاسود ، ويحمل عصاه الرعوية ، الى سلم الطائرة .

قبل ان يبلغ السلم انحنى فأمسك به رجلا الامن الاسرائيليان، لكنه دفعهما ثم ركع وقبل ارض فلسطين وصعد الى الطائرة .

وفي مطار روما كان هناك مصورو الصحف والتلفزيـون ينتظرون . لمعت الاضواء لكن الشرطة كانت هناك . مدير المطار الايطالي يشرح للبطريرك مكسيموس حكيم ولممثل الفاتيكان، المرافقين للمطران كبوشي ، التدابير التي اتخذت بمناسبة وصول المطـران كبوشي ، ومنها ان الطائرة ستهبط على مدرج استثنائي يستعمل عادة للطائرات المخطوفة او المصابة بعطل ، وذلك لابعاد الناس عنهـا .

وفي الوقت الذي كان فيه ضباط الشرطة والمخابرات يدخلون ويخرجون بسرعة وعصبية ، تعالت في قاعات المطار الواسعـة هتافات واناشيد : « بـلادي . بلادي . « فتـح » ثورة على الاعادي » رددها الشباب العرب والفلسطينيون الذي اعتمروا الكوفيات الفدائية . لكن هؤلاء منعوا من الاقتراب من مكان هبوط الطائرة ، فهددوا بقطع الطريق على السيارة التي ستنقل المطران كبوشي . كانوا يريدون استقباله والاحتفاء به بطلا ومناضلا في سبيل فلسطين .

/١٢/ سيارة للشرطة والمخابرات ، احاطت بالساحة التي وقفت فيها الطائرة . لقد ضربت الشرطة نطاقا وحصارا حـول المكان ، واخضع موظفو المطار للتفتيش .

بعد دقائق أطل مطران القدس ايلاريون كبوشي ، كان يحمل العصا الرعوية وعلى صدره ايقونة السيدة العذراء . كان مرتديا الثياب الكهنوتية الكاملة ، وفي اصبعه لمع الخاتم الرعوي . بدا ناحل الجسد ، فضفاض الثياب ، طويل اللحية .

لثوان وقف ، ثم نظر بعينين دامعتين نحو البطريرك مكسيمو حكيم ، رئيسه ، وتعانقا وهما يبكيان .

بخطا ثابتة حيا كبوشي مستقبليه ، وادى له ضباط الشرطة التحية ، ثم توجه تحت اضواء التلفزيون الايطالي الى سيارة الفاتيكان .

وقبل انطلاق الموكب بارك المطران مستقبليه بيدين مضمومتين خاشعتين تتوسطهما العصا الرعوية .

هكذا كان الاستقبال الرسمي . الاستقبال الصامت والبعيد عن مظاهر الاحتفال الشعبي المنتظر للراهب الثوري الذي رسم اسمه بالبرق في ذاكرة الجيل العربي الغاضب .

كانت هذه البداية ، الخطوة الاولى داخل شبكية الشروط المهينة التي فرضتها اسرائيل ، والتي رضخ لها الفاتيكان .

ــ كنت افضل السجن على الخضوع لهذه الشروط . داخل هذه الشروط أموت ببطء .

يقول ذلك بمرارة انسان داخل دائرة حصار .

ولكن لماذا لا يحق للنار العربية ان تشتعل ؟ وهل قضية ايلاريون الفلسطيني في طريقها لان تطمس لانها اقترنت بالنار التي تمس الضمير العالمي . الضمير الغربي ــ الراسمالي الذي صدر للعرب هذه النازية الجديدة ؟

كانت هناك اسئلة كثيرة لا يمكن الجواب عليها الان . وكانت هذه الاسئلة الصعبة تمر عبر قضية الحرب والسلام ، وعبر التواطؤ التاريخي لازاحة اسم فلسطين من خريطة العالم .

كان ايلاريون كبوشي يقع داخل معادلة غير متكافئة . معادلة

الغرب المنحاز والواقع تحت تأثير مفوم ، تاريخي ، عاطفي ، مسمم بالدعاية الصهيونية وليدة الرأسمالية ، ومعادلة العرب المزقين والمهزومين .

ان كبوشي هو ابن الكنيسة الشرقية المشهورة بمواقفها الوطنية العادلة . هذه الكنيسة التي اعلن اساقفتها الكاثوليك في وثيقتهم التاريخية الصادرة في تموز عام ١٩٧٤ موقفهم المشرف من القضية الفلسطينية .

ان هذه الوثيقة توجه تهمة الانحياز للغرب على حساب العرب ، كما توجه تهمة الارهاب والاجرام **« للدولة التي تنظم الاجرام والاغتصاب لحقوق المواطنين الاساسية تنفيذا لمخطط دولة كيانها قائم على الارهاب والجريمة »** .

لنقرأ هذا المقطع من وثيقة الكنيسة الكاثوليكية ، كنيسة ايلاريون كبوشي التي تتهم الغرب « بالتنديد بالمظلومين وحدهم ». الغرب المتحيز للظلم : **« من الضرورة ، في مثل هذه الاحوال ، ان يقام تمييز اساسي بين العنف الذي يمارسه ظالمون ، وذلك الذي يقوم به مظلومون ثائرون . فالظلم يتمتع بسلطات وموراد تمكنه من بسط ارهاب مدروس ومتواصل ، اما المظلوم فيرى من حقه اللجوء بدوره الى فورات من العنف يحاول بها زعزعة نير الارهاب الذي لا يتمكن من خلعه . وانه لمن المؤسف ان تتسم في عصرنا العلاقات بين الافراد والجماعات بهذا الطابع المذل للحضارة ، ولكننا اذ نلاحظ اسراع الغرب ، عند حصول العنف ، الى التنديد بالمظلومين وحدهم ، فلا يسعنا الا ان نشعر بمرارة عميقة ، وبهذا يفسر الى حد بعيد عدم اكتراث المظلومين براي عام ــ يقال انه عالمي ــ لانهم يلمسون فيه التحيز والظلم . لماذا لا يشجب العالم بتنديد اشد ، العنف المتواصل الذي يقع الفلسطينيون باستمرار ضحية لــه »** .

لقد جسد ايلاريون « المرارة العميقة » في موقف وطني هو من صلب الكنيسة الكاثوليكيـــــة . الكنيسة التـــــي خرج منها « كاميلوتوريس » في اميركا اللاتينية ، والكاردينال « ميزنتي » و « سلييج » و « بيران » في اوروبا ، والاباء الروحيون المناضلون في افريقيا واليونان وقبرص .

المنعطـف

لم يرو هو . هم رووا عن الاحتفاء به في المصح الذي اعد ليكون منفاه . السفراء والقناصل والطلاب العرب ومسؤولو منظمة التحرير الفلسطينية ، الذين لم يسمح لهم ان يحتفوا به في مطار روما .

كان الصالون غاصا عندما اطل عليهم . تقدم وعانقهم واحدا واحدا . كان لقاء غريبا مفعما بالاشراق ، والدموع ، والحنان ، وفيضان العواطف التي اندفعت كالسيول .

كان يبكي ويضحك . تتقاذفه امواج بحر غابت طويلا عن شواطئها . رغم وهنه ونحولة جسده ، بدا قويا ، وعملاقا ، ومترعا بالخصوبة والحياة ، وتدفق الحب الصاخب والمشع .

ورووا انه بدا كمسيح متوهج بالنور . تقمصته الــــروح الالهية ، ودفقة الوطن الجريح ، فشف . كان الان مع الوطن ، والرفاق ، ورائحة التراب والشجر ، والانسان .

وكان الان في حضن الام ــ الوطن ، المفقودين منذ زمــن طويــل .

ومعهم احس انه ليس وحيدا ، وليس منسيا ، وانه الرمز المنقوش على ابواب القلب . وتحدث .

بين الشهقة والغضب ، تكلم اريلاريون كبوشي عن العذاب والفرح ، عن الله والوطن ، عن النصر والثورة ، عن الحرية والسجن .

كان يتحدث بعذوبة ينبوع ، وجلجلة رعد .
ولكن المرارة كانت مستترة تحت عشب عينيه .

وكانوا يرونه وهو يسيل حبا وشوقا اليهم ، وهو يتألق كالضوء واخضرار الحقول ، كانوا يتقرونه بلهفة من لا يصدق انه حاضر بينهم .

هذا هو ايلاريون اذن !
وكانوا متحدين معه داخل هذا الفرح المفاجىء ، داخل هذه اللحظة التاريخية الغريبة .

في عينيه رطوبة السجون ، وعلى جسده آثار السلاسل ، غير ان طاقته الروحية كانت تصخب كشلال .

وقال : فرحي بلقائكم يعادل فرح الارض بالامطار .
وقالوا بصمت : أيها السيد الجليل ان فرحنا بك لن يعادله الا تحرير الارض وخفق العلم العربي فوق تلال القدس .

وفي ردهات البيت الرهباني علت الهتافات والتهليل ، احتفاء بالسيد القادم من الارض التي طال اغتصابها .

كان اللقاء ، على تواضعه وبساطته ، عرسا من اعراس الشعب . تجلى كاحتفال بفارس ــ سيد افتقدته القبيلة زمنا . لقد جاءهم اخيرا مضمخا برائحة الوطن ، ورطوبة السجون . جاء اخيرا ، ولكنه مغلول بسلاسل المنفى .

السلاسل التي تضيء اضاءة الوطن المنفي .
في المطار لم يسمحوا له بلقاء ابناء وطنه . فصلوا بينه

وبينهم تنفيذا لشروط النفي . وعندما سأل :

ولكن لماذا يحدث ذلك ؟ قالوا له : البوليس هو المسؤول .
وقال مندهشا لمرافقيه : هل خرجت من سجن الى سجن اخر ؟
اريد ان ارى الناس . ابناء شعبي الذين اشتقتهم واشتاقوني
لماذا لا استطيع ان اراهم ؟

وكما كانت الاسئلة تثير الاحراج دائما ، كانت الاجوبة اكثر صعوبة واحراجا .

وما كان مسؤولوه راغبين في صدمه وايلامه . وما يهم الان هو الراحة . والمطلوب هو سكينة العاصفة .

كان ثمن حريته باهظا . وبين المقايضة والافتداء ، وقعت الكنيسة تعهداتها . وتنفيذا لصك الافراج كان على المناضل ايلاريون كبوشي الاقلاع عن السياسة ليتفرغ لامور ربه وكنيسته .

لم يكن قد مضى شهر على اطلاق سراحه حتى جاءه كاردينال المجمع الشرقي ومعه احد المطارنة . كان الكاردينال قد خدم مطرانا دخل الكنيسة الكاثوليكية في البرازيل لمدة ثلاث سنوات . وشرح لكبوشي جمال البرازيل والثراء الذي تتمتع به الطائفة هناك : لقد اخبروني انك ستذهب مطرانا الى البرازيل وانا سعيد بذلك . امورك هناك ستكون منظمة وحياتك مريحة وسنيسر لك العمل .

وفوجىء بالنبأ . صعدت المرارة والغصة الى حلقه وابتدات دموعه تتساقط .

كان الكردينال يجس نبضه لمعرفة مدى استعداده . وعندما راى دموعه تأثر واعتذر : لو كنت اعلم انك ستتأثر الى هذه

الدرجة ما ذكرت لك ذلك . وقال كبوشي : انا رجل دين ومستعد للذهاب الى المكان الذي يختاره لي رؤسائي . المهم ان يكون الانسان مرتاح الضمير وان يحب عمله في ذلك المكان . بدون ذلك ينتفي الاخلاص وحب الله .

واستطرد غاصا بالدمع : انت تعلم يا سيدي الكردينال انني انسان عربي وقد صهرت في العذاب من اجل فلسطين وشعبها حتى صارا جزءا مني . في حال ذهابي الى البرازيل سأبتعد عن شعبي ووطني . ثم انا المطران كبوشي الذي ارتبط اسمي بالنضال العربي ضد اسرائيل ، ماذا سأقول للشعب البرازيلي ؟ وكيف سينظر لي هذا الشعب وهو يراني مبعدا وقد تخليت عن قضيتي ؟

وما كان هناك من جواب واضح على الاسئلة . فقط كان هناك نضال ضد قسوة الشروط . نضال سلمي ، صامت حينا ومعلن حينا اخر ، داخل الشرط والامتثال الكنسي ، سيخوضه الراهب السياسي والخارج من مطهر السجن الى جحيم المنفى .

ـــ والان الى اين ايها السيد الحزين ؟

والطريق الى فلسطين ما تزال وعرة ، ودامية . والذين سلكوها اما لم يصلوا او صلبوا . ولان السجن والمنفى والموت ، شرط العربي في هذا العصر الفلسطيني ، فالاسئلة مجاب عليها سلفـــا .

ـــ المنفى هو الاعدام . وانا لن اقبل الموت بسهولة .

ـــ ولكن هل تكفي عبارة : « يا ابت ابعد عني هذه الكاس » ؟

ـــ لم اصل بعد الى هذه العتبة .

وما كان وحده المطوق بالمشهد الخارجي . بالشرط الموضوعي

للصراع اللامتكافىء .

الفلسطينيون الثوريون ، والعرب المناضلـــون ، كلهم كانوا في الحلبة . والرهان : السقوط او الاستمرار . وايلاريون كبوشي كان واحدا من هؤلاء المقاتلين حتى داخل شبكة اليأس وآلاحبـــاط ، لا ضدالغزاة والامبرياليين فحسب ، وانما ضد العطب الداخلي في الجسد العربي المريض ، والمثخن بالجراح والقهر والارهاب .
غير أن مأساة الراهب الفلسطيني كانت اكثر فاجعية ، وهذه الفاجعية انبثقت من جذر فرادتها واستثنائيتها : الدين .

كان هناك التباس بـــــين الفهم الجوهري للدين كما حدده القديسون الاوائل والانجيل ، وبين آلكهنـــوت كمسألة طقسيـــة معزولة عن العالم الدنيوي .

لقد اتبع ايلاريونكبوشي جوهر الدين كما حدده القـــديس يوحنا المعمدان : « اذا قال احد انه يحب الله الذي لا يراه ولا يحب قريبه الذي يراه ، قولوا له انه يكذب » .

كما كان مع قول القديس اوغسطين : « احب واعمل مـــا تريد » وكان يتمثل ما جاء في انجيل متى : « اذا ما كان اخ او اخت عاريين او جائعين ، وقال احدكم لهما : أذهبا بسلام ، تدفآ او اشبعا ، دون ان يعطيهما ما هو ضروري للجسد فما نفع ذلك » .
هكذا كان يتمثل ويحقق كنيسة الايمان والعمل الكاثوليكية الشرقية التي اكدت وثيقة اساقفتها وبطاركتها :

« ان على الرأي العالمي ، كي يكون امينا للحقيقة الانسانية الا يساند في حل النزاع العربي ــ الاسرائيلي سوى المشاريع التي تقول بعودة الشعب الفلسطيني الى ارضه » .

لقد سلك طريق فلسطين الوعرة والدامية . طريق المسيح الفادي ، الصاعدة نحو جبل الزيتون ، وها هو ينزف .

هذا العربي الحزين

« لقد انجز الله . وانا ايضا قد اسهمت بحصاتي الحمراء الصغيرة ، قطرة من الدم لكي اجعــل هذا التراب صلبا ، ولكي لا يتلاشى ، وحتى يمنحني الصلابة لئلا اتلاشى .

لقد اديت واجبي » .

كازانتزاكي

كنا الان في الاسبوع الثالث من اللقاء ، خـــلال هذه الايام التحمت حواراتنا العقلية بصداقة خاصة . كانت الاعترافات التي ادلى بها تدخل في مدار حقبة تاريخية ، الذاتي فيها يبدو هامشيا ازاء الموضوعي . وكانت حقبة ملتهبة ، لا ينسجها الفرد ــ البطل، انما السيل العرم لروح الشعب ويقظة الجماهير ، ولكن هـــذا الفرد ــ الامثولة كان الرمز الحـــــي لانتفاضة امة كانت تتحدى الموت لتحيـــا .

لم اكن اكتفي بلقاءاتي الثنائية معه . كنت احضر لقاءاتـــه مع الاخرين ، وفي هذه اللقاءات كنت اتعرف عليه اكثر وهـــو يتحدث ويحاور ويغضب ويحزن ويفرح .

في تلك اللقاءات كان ايلاريون كبوشي يتحول الى انســـان اجتماعي ، مفعم بحب الاخرين ومشاركتهم افراحهم وابتساماتهم وسخريتهم .

وفي تلك اللقاءات كان يفاجئنا بأفكاره المستنيرة والتقدميـــة حول مسائل تبدو متعارضة مع الفكر المثالي ــ اللاهوتي . كانت تحليلاته حول الاشتراكية تنطلـــق من مسألة اساسية : الغـــاء استغلال الانسان للانسان .

ــ انا ضد المجتمع الطبقي ونحن ، المسيحيين ، البناة الاوائل للاشتراكية . المسيح قال : « ان مرور جمل من ثقب ابرة ايسر

من ان يدخل غني الى ملكوت الله » .

المسيحيون الاوائل بعد موت المسيح بثلاث سنوات كانوا يبيعون املاكهم ويقدمونها للرسل لمساعدة المعوزين والفقراء . اسمع هذه القصة : يروي الكتاب المقدس في الفصل الخامس من اعمال الرسل ان رجلا اسمه « حنانيا » كانت لديه قطعة ارض باعها وجاء بمالها الى احد الرسل بعد أن ترك لنفسه شيئا من المال . سأله الرسول : الم تترك لك ولعائلتك شيئا ؟ فقال : لا . قال له الرسول : اذا كذبت فلتذهب انت وفضتك الى جهنم ! فوقع (حنانيا) ميتا . وجاءت امرأته فسألها الرسول : الم تتركوا لكم شيئا من المال ؟ فقالت : لا . فقال الرسول : لتموتي ان كذبت ! فوقعت ميتة .

من بوابة الدين ، كما تمثله اصلاحا اجتماعيا ، واخلاقا متسامية ، كان يطل على العالم . كان يلغي التعارض بين الطقس المقدس ، والرغبة الطبيعية . ما كان يلغي بقدر ما كان يركب بتوازن سماه « التوازن الهرموني » بين الكبت ونزوع الطبيعة البشرية .

ومع انه لم يقرأ ما قاله الراهب « كاميلو توريس » حول الانخراط في النضالات السياسية ونفور العقلية الدينية — التقليدية من هذا الامر واستهجانها له ، الا انه كان مؤمنا مثله « بوجود دوافع كهنوتية لحب القريب ، ولاظهار هذا الحب ، وهي دوافع تحث المرء على هذا الالتزام اذا ما اراد ان يكون مخلصا لضميره أولا ، ولربه ثانيا » .

ولانه كان يركب اطروحة جديدة من المسيحي والثوري ، كان يبدو شفافا وديعا كالعشب ، وقاسيا ككتلة من فولاذ . وفي جنبيه تحس الجنة والنار معا .

النار ضد القسوة والعذاب والاضطهاد والاحتلال . والجنة تورق وتخضر من خلال طيف المسيح المترع به قلبه .

ــ لقد حمل يسوع الام البشرية وانا احمل الام شعبي الفلسطيني . هذا هو قدري الذي انتدبت من اجله . عن طريق الله رايت فلسطين وفي عيون فلسطين الجريحة رايت جراح يسوع على الصليب .

كان يتحدث عن المزج بين الدين والوطن كمسلمة ، ملغيا اي احتمال للتعارض او المحايدة : رجل الدين ليس محايدا بين الخير والشر . هو مع الخير قطعا واسرائيل هي الشر المجسد بينما فلسطين العربية هي الخير المطلق في هذا العالم .

كان الجدل يدور حول الصراع العربي ــ الاسرائيلي ، واشترك في الجدل احد رجال الدين . قس لاهوتي ــ لبناني ، يميني النزعة .

وكان السؤال : اين هي الحقيقة في هذا الصراع ؟

رجل الدين اللاهوتي بدأ يطرح الحقيقة بمفهوم فلسفي ــ تجريدي معزول عن الواقع .

بدأ بشجب السياسة العربية المتناقضة والمختلطة ، وباختلاف العرب حول قضية فلسطين والصراع : انا لا استطيع ان اقول الحقيقة في بلدين عربيين . ما يمكن ان اقوله في مصر يختلف عما اقوله في ليبيا . انا مضطر للتكيف . وهذا مؤسف . القضية العربية غير واضحة حتى داخل البلاد العربية .

الخلافات السياسية بين الانظمة والحكام ، يطرحها اللاهوتي المحايد ، على الصراع الجذري بين الامة والاحتلال . ولانه لا يريد ان يرى الشعب وتناقضاته مع انظمته ، وروح الشعب التي ترفض الغزاة ، كان يطرح المسألة بهذا التبسيط العمومي المسطح .

ـ سيادة المطران كبوشي ما رايك بما يقوله سيادة الراهب؟ اعني هل تقول حقيقتين في بلدين عربيين ؟

ـ لا . لا. ابدا . حتى ولو قطعوا راسي او لساني . مثل هذا الموقف ليس مبدئيا . هذا موقف انتهازي ، محايد . وانا تحت التعذيب والسجن والاهانات ، رفضت التبرؤ من تهمتي بحب فلسطين وخدمة شعبي . كيف يواجه الانسان ربه وشعبه بوجهين ؟

هكذا في لحظة ، يتجلى موقفان مفارقان ومتعارضان لرجلي دين . رجل مبدئي يحمل بايمان راسخ كالجبال ، قضية تاريخية ، لم تزعزعه سنوات السجن والتعذيب قيد شعرة عن يقينه الثابت . ورجل دين ـ لاهوتي ـ تجريدي ، يحايد عن الحقيقة المجسدة في ظاهرة حياتية . ظاهرة غزو تقتلع شعبا من ارضه ، لتزرع مكانه شعباً غريبا غازيا فرض وجوده بقوة السلاح ودعم الامبرياليين . ان تحليله لتاريخية الصراع من وجهة النظر اللاهوتية ، لا تتعارض مع التاريخية السياسية ، بل تدعمها باستشهادات انجيلية وقرآنية تدحض الادعاء الاسرائيلي المستند الى العهد القديم حول احقية اليهود بأرض الميعاد والميراث الابدي لارض فلسطين .

يقول كبوشي : بالنسبة لارض الميعاد والشعب المختار ، وهذه النغمة التي داب اليهود على تردادها تغطية لاغتصابهم فلسطين ، ساحلل الامر دينيا لا سياسيا .

ان الشعب المختار هو الذي قطع الرب له العهود والوعود ، وهو ذلك الشعب المعد لاستقبال المسيح . فلما ورد ملء الزمن وارسل الله المسيح من مريم ولم يتعرف اليهود عليه ، وقرروا نكرانه ، قطع الله عليهم الميراث . اما الاخرون الذين قالوا : ان

المسيح ابن الله . واولئك الذين قالوا : ان عيسى من روح الله . فهؤلاء هم أبناء فلسطين الحقيقيون ولهم ارض الميعاد وهم الذين يرثون الارض .

لقد اصبحت فلسطين وشعب الله المختار لمن تعــرف على المســيح . للمسيحيين الذين قالوا انه ابن الله . وللمســلمين الذين قالوا انه من روح الله ، هؤلاء لهم الوعود والمواعيد .

ولقد قال المسيح : « يأتون من المشارق والمغارب ويتكئون في احضان ابراهيم ، اما ابناء الملكوت فيطردون خارجا » . هو طردهم نحن دخلنا ارض الميعاد . انها لنا الى ابد الدهر .

وفي التاسع عشر من تشرين الثانـــــي يفاجأ العالم بزيارة الســـادات لاسرائيل . العـــالم يبدو مشـــدوها بهذه المفـــاجأة الصاعقة ، بينما العرب يغطون وجوههم لستر العار .

وتحت ستار الخرافة « الحضارية » التي تحدث السادات عنها ، وكسر جدار الخوف ، كانت الخيانة تتدثر بعصور الــذل والمهانة والاستسلام .

لقد حصد الاسرائيليون اخيرا ما زرعته حروبهم العدوانية . منذ هزيمة العرب في الــ ٦٧ أنتظروا قدوم الحكام العرب الى اسرائيل لتوقيع اتفاقية الصلح والهزيمة .

وها هو حاكم اكبر دولة عربية يأتيهم صاغرا لينهي حالة الحرب ، ويعترف باسرائيـــــل ، وليوقع صك الاستسلام باسم العـــرب .

جاء هذا في اعقاب اطلاق سراح ايلاريون كبوشي ونفيه ،

وبعد الغارات الاسرائيلية على الجنوب اللبناني ، وابادة قـرى بكاملها ، وقتل مئات الابرياء من شعبنا هناك .

وفي صالون الرهبانية اللبنانية ، حيث يقيم ويستقبل ضيوفه وزواره واصدقاءه ، جلس يتحدث بمرارة : **لو كنت حرا ، طليقـا لسافرت الـى مصر وركعت عند قدمـي السادات طالبا باسم فلسطين والشهداء الا يذهب .**

وتساءل بحزن غاضب : كيف حدث هذا ؟ لكأن الانسان في حلم . هذا مؤلم وجارح . جارح ويدمي القلب .

كان هناك سفراء عـرب ومسؤول منظمة التحـرير الفلسطينية ، وبعض الصحفيين العرب والاجانب ، وبدا الوجوم مخيما على الوجوه .

لقد صدمت خطوة السادات التي جاءت كطعنة ، اعمـاق العرب ، فأصابتهم بحالة من الذهول والاحباط .

وعلى المستوى العالمي ، كان الراي العام الاوروبي مدهوشا بالمفاجأة ، في الوقت الذي كان يرى في الزيارة تقدما ملموسا باتجاه انهاء حالة الحرب وتجميد الصراع في منطقة الشرق الاوسط .

ولكن السؤال العام كان : مقابل ماذا اقدم السادات على ذلـك ؟

وكان هناك شك في ان يكون الاسرائيليون قدموا شيئا للرجل الذي جازف بتقديم الحد الاقصى من التنازلات . وتواصل الحوار حول الموقف العربي الراهن ، وضرورة التصدي لهذه البادرة التي ستمزق العرب وتضع قضية فلسطين في مهب رياح الاعداء .

وتساءل ايلاريون كبوشي عن الموقف العربي لمواجهة هذا الاستسلام والتردي : الى اين وصلنا ؟ قبل الـ ٦٧ كانت قضية

فلسطين هي اغتصاب واحتلال الـ ٤٨ . الان صارت القضية محددة بالضفة الغربية وغزة . ان فلسطين تتقلص مع الزمن . هذا يشبه كتلة من الثلج تذوب وتصغر كلما حدث ضغط عليها . زيارة السادات استسلام واضح للعدو واعتراف بان القدس يهودية . هذه الزيارة ستقلص اكثر قضية فلسطين وتمسخها .

وما احس بحرقة المنفى والخيبة احساسه بهما في تلك اللحظة . كان يتكلم بعصبية وانفعال . ولانه كان منفيا محروما من الحرية ، ومطوقا ، كان يشعر بألم لا حدود له .

وفي ذلك اللقاء جرى حوار حول ضرورة ازالة التوتر بين سوريا والعراق ، وتشكيل جبهة مضادة للتحرك الساداتي وخطوته المعادية للشعب .

وقال كبوشي : لو يتاح لي ان اكون هناك لقمت بعمل شيء ما يعيد العلاقات بين البلدين الشقيقين في هذا الوقت الخطير . انني على استعداد لتقديم حياتي ثمنا لوحدة العرب .

واستطرد بغضب : نحن نمر بمرحلة خطيرة لا مثيل لها . هذا الانعطاف بل هذا الانكسار لا يماثله الا سقوط الدولة العربية في بغداد وغرناطة في العصور الغابرة . سنتحول الى خدم وعبيد اذا ما انتصر خط الاستسلام والخنوع . هنا في الغرب يفهمون الزيارة بأنها جاءت لتبرهن أن العرب يريدون السلام ، ومع ذلك ينبهوننا الى ضرورة الاستعداد واليقظة لان اسرائيل لا تريد السلام . مسؤول ايطالي كبير حدثني عن ذلك . لقد قلت له بان هذه الخطوة ضربة لمصالحنا القومية . خطوة موجهة ضد ثورة شعبنا الفلسطيني لتصفيتها ، وضد شعبنا العربي الذي يرفض الاستسلام للعدو المحتل والغاصب . اننا لا نريد الحروب ولكن الغزاة احتلوا اراضينا ويريدون تحطيم ارادتنا .

ومع انه كان يتكلم باتزان وعقلانيـــة ، الا انه بدا محرور العينين . كان الان واحدا من الملايين العرب المشلولي الارادة ، والمعزولين عن الفعـل والتأثير ، والذيـــن يصنع التاريخ دون استشـارتهم .

وتحدث عن تفكك بنية المجتمع الاسرائيلي اقتصاديا واجتماعيا، وكيف ان زيارة السادات وحدت هذا المجتمع الان : نحن الان كعرب نتفكك ونتمزق وعلى اشلاء تمزقنا تتوحد اسرائيل وتتصلب . اية ماساة ان نرى ١٥٠ مليونا من العرب يواجهون خطر الانهيـار امام عدو لا يزيد عن ثلاثة ملايين ؟!

وعندما وصل الى هذا الحد من الاسى الجارح ، انفجـر بنشيج حاد . عبر نشيجه تكلم بغصة متقطعة : في منفاي انا مقيد ومكبل . قلبي يحترق ويدمى لهذا الوضع . ارغب ان اكون طليقا . ان اكون في اي بلد عربي ، لافعل شيئا مع اخوتي . اسمع صوتي للمسؤولين . اقرع جرس الخطر في هذا الوقت الصعب .

مرة اخرى ما اكثر الاسئلة الصعبة التي لا يجاب عليها في عمر ايلاريون كبوشـي .

ومرة اخرى ما اعمق الالم والجراح في جسد الامـــة التي ولد فيها ايلاريون كبوشـي الضحية والشـاهد .

والى ان يجاب على الاسئلة الصعبة بالفعل الثوري الحقيقي، سيظل الشعب وكبوشي منفيين . ووحدها الثورة على امتـداد الوطن العربي ، ستظل القادرة على طرد الغزاة واطلاق سراح المنفيـين .

ملف الوثائق :

الصـــور والرسائـــل
والشهـــادات

الشهادات

كلمة الأب مكرم قزح في مهرجان ضهور الشوير لنصرة المطران ايلاريون كبوشي السجين

في جزيرة بطمس عاين يوحنا الانجيلي رؤيا · وفي بكفيا عاينت انا الكاهن الماروني رؤيا جديدة ·

وحين بادرت القوم ارويها ، وبي عجب المنخطف ، فوجئت ·· فلم اكن وحدي رائيا · كانت معسكرات الشعب الفلسطيني ترى ، بالعينين الفسيحتين ، ولا تخبر · غير اني سأحكي :

بيلاطس ـ من أنت ؟
كبوشي ـ ايلاريون بن عز الدين القسام ·
بيلاطس ـ مهنتك ؟
كبوشي ـ مرتل · حينا بالصنوج ، واحيانا بالبندقية ، اما صوتي فلا استخدمه الا نادرا ·
بيلاطس ـ أنت متهم بالتحريض وايواء المخربين وتهريب الاسلحة فماذا تقول ؟
كبوشي ـ لن اقول : بل سأسمعك ترتيلة مشرقية : لما رسمني الشهيد يسوع بن يوسف اسقفا على البطاح الفلسطينية هامسني « ايلاريون ايلاريون » لا تقنع بجسدي تقدمه ، لحما ودما ، فجسدك صالح ايضا وايضا · قدمني مرة ، وقدمه مرات ·· جسدك طيب ايلاريون ويفرح الجياع ، دمك مسكر ايلاريون ، ويمسح الخطايا ·

انا لم احرض ، ولم أأو ولم اخرب · انا نفد الخمر في كنيستي والرعية عطشى ، فهرقت دمي ورويت · انا فقط ، يا رئيس المحكمة ، بصوت مرتفع ، صلبت ·

وحكمت المحكمة بسجن ايلاريون المرتل ١٢ سنة ، لانها ضبطته يقدم جسده على المذبح ، خلافا لقوانين الدولة التي تنص على تقديم الكلام فقط ·

تلك رؤياي بلغتها · اللهم اشهد انني بلغت ولم اكن كذوبا ، ولم اكن مداجيا ·

يوم اتانا كبوشي ، جليلا كالارجوان ، ومهيبا كالقدس ، حسم في بال جمهرة النصارى اسئلة سكنتهم زمانا طويلا ، وشلت منهم اليد وارادة الكفـــاح ٠

كانوا يتساءلون : انحن ابناء ارض نسقيها العين ولحم الجسد ، ام اننا مواطنون في السماء نتنزه عن الارتباط بأرض تزول وملك يفنى ؟

ويتساءلون : ايجوز لنا المشاركة في الثورة ٠٠ والثورة دم وقتل ونحن ابنـــاء الســـلام ندعي ؟

ويتساءلون : ايجوز لنا ان نعادي الاخرين ، ونلطم اعداءنا وقد دعينا الى محضهم حبا جزاء لطماتهم ، وغفرانا جزاء اساءاتهم ؟

نعم ، يتساءلون ، لان الانبياء الكذبة ٠ ادعياء النصرانية جرعوهم انجيلا صنعته مصالحهم ليوافق اهواءهم وعروشا لهم تتهاوى ٠

لا ، لا ما كان عيسى ابن بيت النجار شليل اليد ولا خفيض الجبـــين وما المحبة بوركت ، صمتا على المغتصب وبركة المتجبرين ٠

ان هي الا سوط يلهب عميقا ، ويطرد الغازي بعيدا ، لنتحد بالارض مخطوبة والعرس معقـود ٠

لاهوتيو الغرف الوثيرة ، المتغرغرون بالانجيل يتقاذفونه حول كأس وفي هدأة العشايا الدافئة ، هؤلاء علمهم كبوشي ، لو يتعلمون ما طيب الارض ، ما شهوة ضرعها ، وما شمة اللحم الطري في صدر طفل فلسطيني ٠

لقد وقفوا طويلا ٠ لكن الزمن الفلسطيني جاء ٠ لم يجيء به كبوشي ، ولا انفرد به صانعا ، لا ، والحق انه جاء منه ، وليدا لذاك الشعب الجزيل الكرامة ، كبوشي لم يصنع سوى انه حدق في جراح الشعب الفلسطيني ، وسيعة، وسيعة ، حدق واطال ٠ حدق حتى غاب ، ولما استفاق ، كان قد صار بطلا ٠

ليس كبوشي يتيما ولا وحيد امـــه ، ولم يفاجئنا من عدم ٠ امه الثورة الفلسطينية ، انجبته في ليالي العتمة ، ونحن نيام ٠ كان صغيرا ، ولما شب صبيح الوجه زفته الينا : « هو ذا ابني الحبيب الذي به سررت » ٠

وعرفنا اخوتـــه ٠ عرفناهم جيـدا ٠ فدماؤهم بركـة على جبيننا ، ومن اجسادهم صنعنا ذخائر اعناقنا ٠

ويوم قفز كبوشي من تاريخ فلسطين الى تاريخ النصارى ، شطرنا ، حييت يداك ، شطرت تاريخنا اثنين . فلـن نعود ، وعينيـك الـى غابـر ماضينا . لن نعود الى ايام العزلة والرعشة من ذكر فلسطين .

لن نعـود الى جزع الخراف وخبث الافاعي . لن نعود الى غدر شاء البعض ان نتسخ به ، ونحن ولد النقـاوة ؛ لن نعود لانـك غطستنا في القاع القاع ، حتى شججت رؤوسنا ، فلما انتشلتنا كنا قـد اغتسلنا ، والمئزرة بيضـاء .

ولئن كنت اليوم معانقا صليبك في ضمة الوصال ، تأبى عليك النفس افتراقا ، فلسنا في غم . رأينا ، يا ايلاريون قيامتك المجيدة منذ عشرة من السنين غداة هلة الخامسة والستين . رأيناها وتهاتفنا : هللويا ، هللويا ؛ لثـورة الثوار .

ويا الثورة ، ويا الثورة يا ذات الشموع العشر ، أم غسان وكمال وابو يوسف ، اخت الجزائر والصين وفيتنام والتشيلي لست ضيفة علينا ؛ ولا نحن مضيفوك . انت الجلد يكسو العظم ، فان عن للبعض سلخه سلخوا معه الروح والعروق .

ويا ام فاطمة البرناوي وتريز هلسا ، لا ، ولا نحن معيدوك في الصالات ودور السينما ، بعدما شئت انت المعايدة في الخندق ، حيث اهل الدار يسكنون موعد العشاق في رحم الارض والرفاق هناك يستقبلون .

واذ نلقاك ونستظل واياك برتقالنا وزيتوننا ، ستتنشقين في اعطافنا طيب لبنـاننا .

وستجدين زكي العرف ، لبنان طانيوس شاهين واسقف العرب غريغوار حداد وكوكبة شهداء الجنوب الذين اليهم ننتسب .

فنحن لم نعرف مال الحرام ، يأتي الخصيان ، اذ يبيتون لياليهم في السفـارات .

ولم نشحذ مرة ، باسم لبنان سقيم ، هزل لحمه حتى بان قبحه ، لنجمع الدنانير في لمة الاذلة .

ونحن لم ننحر الاضاحي للاستعمار ، ولا دعوناه ليعبـر العتبة فوق رؤوسنـا .

نحن نطرح ، في جبالك يا لبنان ، صوتا اتيا من حنجرة فلسطين ، يرف على وجه المياه ، صوت كبوشي في صلاة التحدي امام جلاديه ، لحظة ارتقائه صليب الاثني عشر عاما :

قال وهو يتكلم العربية : لن اوجه كلامي اليكم ، بل اوجهه الى معلمي يسوع المسيح الذي في السماء ، والذي يبكي ما حل بالمدينة المقدسة التي هي مهد ديانتين كبيرتين المسيحية والاسلام ، والتي تدنس من قبل الغزاة وتخرق حرماتها · واني اصلي من اجل الدولة الفلسطينية ·

اني اقدس السلام واومن بالمحبة وعلى خطاك سيقدس ارضنا ، هذه الارض التي تحب والتي تدعى فلسطين · يا معلمي ويا سيدي يسوع انت النور الى العالم وهم الظلام · ليلحق العار باولئك الذين شوهوا القدس ، اني اسير الغـزاة البرابرة ·

واضاف : سأنقل الى هيئة المحكمة ما يخالج قلبي من شعور في نهاية مدة طويلة من العذاب · فمن قمة جبل الزيتون نظرت يا يسوع الى القدس وقلت (سيأتي يوم تحاصرين فيه من جميع الجهات ، وسيدمرونك ويدمرون اولادك) · واذا نظرت من السماء ستجد ارضك والقدس تماما كما بكيت عليها ، وستجد ابنك الحقيقي مقيدا بالسلاسل ، وتبكي · وهاأنذا سجين عذاب الفاتحين ، وهاأنذا ضحية قوة الحكام · اننا جميعا من بني الانسان ماضون على الجسر الى الابدية ، لكن ارضك ازلية وستظل اقوى من قوة الفاتحين وقوانينهم · لقد علمتنا محنة ارضك وارضنا الدفاع عنها ، وقد فعلنا ذلك واطعنا لاننا جنودك وستظل القدس مهد المسيحية حرة الى الابد على الرغم من افعالهم · انت المحبة يا ربي ويا سيدي يسوع وهم الظلم ، انت النور وهم الظلام ، ورايتك يا سيدي هي رمز المحبة والحرية وستظل رايتك مرتفعة خفاقة ، الخزي والعار لاولئك الذين يدنسون الارض المقدسة · يا سيدي يسوع ، انني اقدس ارضنا ، ارضنا العزيزة التي تعرف باسم فلســطين » ·

قالها ، واختصر القول · فكل اضافة حشو ، حين تكون الصلاة اخت البنــدقية ·

ارفع عينيك ، وبارك ايها المغبوط ايلاريون ، بارك من زنزانتك فها نحن سجد · بارك يا سيد باليسرى صليبك · بارك باليمنى بندقيتك · بارك واعقـد الاثنين وبــارك ·

والهـا لثــورة حتـى النصــــر

« المطـــران الســـجين »

نص المقالـة التي كتبها « جـورج مونتارون » في مجلة « شهـــادة مسيحية» الفرنسية المؤيدة للثورة الفلسطينية ، تحت عنوان «المطران السجين» دفاعا عن كبوشي وهو في السجن .

ثمة مطران في السجن منذ ١٨ آب . ان هذا الخبر البسيط قد هـــز بعمق العالم المسيحي ، ولكن بالمقابل ، ظل لا مباليا كل من رجال الصحافة ، وقياديو القوى السياسية .

وماذا تريدون ان يكون غير ذلك ، ما دام هذا المطران كاثوليكيا شرقيا ؟ وهو وان خضع للسلطة البابوية الا أنه شرقي الطقس . والشرق بعيد جدا وغامض جدا بالنسبة للغربيين ، أضف الى ذلك ان هذا المطران عربي . وهنا القول الفصل بالنسبة لهؤلاء الناس الذين قالوا في العام ١٩٤١ وهم يخبئون وجوههم كي لا يروا « النجمة الصفراء » : « ليس هـــذا سوى يهودي » . فكيف يستطيع عربي ان يكون مطرانا . هكذا حين جعلونا نعتقد ومنذ سنين ان جميع العرب هم خصوم المسيحية .

ويجب ان نضيف سببا لا يقل اهمية ، هو ان المونسنيور كبوشي ، مطران القدس للطائفة الكاثوليكية ، قد اوقف من قبل الصهاينة الذين نغفر لهم بكثير من السهولة ما يفعلونه بحجة أنهم ابناء ضحايا النازية .

وكان شهادة آبائهم تسمح لهم بأن يسلكوا هم أنفسهم سلوك الفاتح المحتل ، وفي اغلب الاحيان سلوك الجلاد . والواقع ان هذا هو عمق المسألة .

يعيش المطران كبوشي والصهاينة في مناخ حرب - وهذا ما ننساه بكثير من السهولة - وقد رأى المطران وشعبه من الفلسطينيين ، القوات الصهيونية المسلحة تحتل اراضيهم ، فلم يقبلوا بهذا الوضع . لقد قاوموا كما قاومنا نحن في العام ١٩٤١ .

في تلك الحقبة اطلقنا في العدد الاول من مجلة « شهادة مسيحية » صرخة مدوية : « فرنسا ، احترسي ان تفقدي الروح » . لان شعبا لا يرضى لنفسه ان يكون معرضا للانقراض ، فبالمقابل ان شعبا يدافع عن كرامته وعن هويته القومية بدخوله المقاومة ، يستطيع ان يعرف كل اشكال التنكيل ويظل واقفا .

ان الصهاينة ينفون وجود الشعب الفلسطيني نفسه ، ولذا يجب ان يسقطوا هذا المطران ، ولذا فقد تصرفوا تماما كما تفعل قوى الاحتلال .

اتهموا المونسنيور كبوشي بأنه ارهابي . اعلنوا العثور على مستودعات الاسلحة ، ثم حاولوا ان ينالوا من شخص المطران نفسه .
نحن ايضا عرفنا هذا .

حين كانت فرنسا محتلة ، انقسم المطارنة والكهنة الى فئات ثلاث ، حفنة صغيرة تنسق علنا مع العدو . أكثرية أغلقت فمها والتزمت المطرانيات وبيوت الكهنة . واقلية انخرطت في صفوف المقاومة . ونحن اليوم لا نحكي عن هذه الاقلية ، لانه مع نصر ١٩٤٤ تحول الارهابيون الى وطنيين ، وأدركنا ان من يعضد الشعب سيكون له المستقبل . نحن نعرف كهنة ومطارنة كانوا يكدسون في ابراج الاجراس اعداد مجلة « شهادة مسيحية » السرية ، بهدف توزيعها .

انهم أنفسهم الذين شاركوا في تلك الاجتماعات السرية ضد الاحتلال ، وهم ايضا انفسهم الذين التحقوا بصفوف المقاومة . انهم ايضا ، وعلينا الا ننسى ذلك ، هم الذين خبأوا اليهود كي يساعدوهم للنجاة من معسكرات الاعتقال والتجميع .

لقد كان بوسع المطران كبوشي ان يتعامل مع سلطات الاحتلال ، وكان سيكسب لنفسه الكثير من الامكانات المادية . كما كان بوسعه ايضا ان يتقوقع في كنيسته وبذلك يضمن هدوءه الشخصي ، لكنه فضل ان يعيش مع شعبه ، وان يشارك الفلسطينيين آمالهم وآلامهم .

لقد اختار طريق الصعود ، كما فعل بالامس الكهنة المقاومون في اوروبا ، ومثل كهنة امريكا اللاتينية الذين يشاركون اليوم في معارك شعوبهم من اجل العدالة والتحرير ، مثل كاميلو توريس والعديد من الاخرين .

حين اختار هذا الطريق ، عرف المطران كبوشي انه يعرض نفسه لاعظم المخاطر ، وقبل بكل ذلك ، ولذا سجنته سلطات الاحتلال ، وهي الان تحاول ان تطعن في شرفه بسبب وجهة نظر تسيء الاعلان عنها .

لقد سجنه الصهاينة مع مجرمين عاديين ، وهم يعتقدون انهم بذلك يحقـرونه .

ترى الى أي حد يسيء حراس السجون هؤلاء الى كلام الرب ؟

لقد نسوا ان يسوع المسيح نفسه قد سمر فوق صليبه وسط اثنـين من اللصـوص .

منذ بضعة ايام والمطران مضرب عن الطعام . انه يريد ان يثقب جدار الصمت الذي يحيطه . فعلينا نحن اذن ان نتكلم .

لتكن تضحيته وصلاته معروفة ومسموعة في العالم بأسره
ولنخدم شهادته حتى ترد العدالة الى الشعب الفلسطيني .

جورج مونتارون

الرسائل

نص الرسائل التي ارسلـــها المطـــران ايلاريون كبوشي من ســـجن الرملة الى الاخ القائد العـــــام ابو عمار ، وفيها يشرح وجهة نظره حول الاحـــداث اللبنانية ، واوضاعه في السجن .

سجن الرملة في الثاني من أيار ١٩٧٦

سيادة الأخ الحبيب ياسر عرفات الجزيل الاحترام
رئيس اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية

وجهت لسيادتكم لسنة خلت، أول الكلمات التي انطلقت في أعماقي من معتقلي.
كنتم بداية عطرة، وأنتم اليوم مسك ختام، لان تسرب رسائلي مستقبلا، أصبح عسيراً.
كيف لا أذكركم، داعيا لكم من أعماق قلبي بالأيد العلوي، وأنتم تعيشون مع
أحداث لبنان المحزنة، أياما عصيبة وأزمة مريرة، تؤلمكم جميعا في الصميم وتقض مضجعكم!!
أنا أعلم ما في قلبكم الكبير من إخلاص وأخوة صادقة وتقدير للشعب اللبناني الكريم. أنا أعرف تماما،
كم تكنون لهذا البلد الحبيب المنكوب، من محبة واحترام، ومدى سهركم على سلامته وحرصكم على استقراره.
رقيه وازدهاره، ليبرز قدوة في التعايش الأخوي، نموذجا حيا للأسرة المتماسكة، تدرس
به مبادئ لبناء دولتنا الفلسطينية الديمقراطية المرتقبة. وما دور الوسيط الذي تقومون به للجمع بين
الإخوة المتنازعين أبنائه، إلا الدليل القاطع على نبالة شعوركم هذا... حتى ان كان تدخلكم استقطب
عنايتكم وتشغل كاهلكم بحب، اتخذ الحكمة في مواقف دقيقة، محيرة... كان الله بعونكم!
حاجة لبنان الماسة الى التطور لا الى التحويل، روحاً ومراحلا. غنية عن الجدال!
سؤالي: هل في دماره، دواؤه؟! أو هل الحرب الأهلية سبيلنا لتحقيق ما نريد له من اصلاح؟!
متى كانت مآثرها، الفوضى، الخراب، الدم، أهدافا للثورة الحقيقية؟ الثورة: روح، قوة الروح،
للعمران، للتطور، للتجدد، لتكسير الطبقية، الاستغلال، الظلم، لتشع مع مشعل المحبة، ونعم الرخاء
والرجاء... الثورة عزم للخلق، لتدفق الحياة. ليست هدما! ليست حقدا ولا كراهية! أهي حرب على الموت،
على ما يميت! الثورة للانبعاث، للقيامة! الحرب الدائرة رحاها في لبنان، لا تقربها المنطق،
يشجبها الحس والضمير. ستجر طويلا، لبنانيا وعربيا، مضاعفاتها الخطيرة، انعكاساتها الرهيبة
وذيولها الأليمة. لن يربح منها إلا الصهيونية ومن يروجها تحقيقا لنواياهم التوسعية حتى نهر الليطاني، احباطاً
لمخططنا للدولة الفلسطينية العلمانية و... خراب لبنان لن يجني ثماره الا الغزاة الطامعون!!!
الاقتتال بشكله المتصاعد على الساحة اللبنانية، ليس لبنانيا. هو تطاحن
بين قوى دولية كبرى، استغلت ظروفا موضوعية راهنة، أرضية مؤاتية، لتعيث فسادا،
تأمينا لمصالحها! لقد استغل هؤلاء المتصارعون، الذين يقومون على اقتسام وتقسيم لبنان...
نزاعات اللبنانيين... حول الدستور... حول نظام السياسي والاجتماعي الطائفي، ليستتروا
تحت خلف تضارب مواقفهم وآرائهم في تواجد المنظمات الفلسطينية بين ظهرانيهم ---
استغلوا خلافاتهم هذه وغيرها... جعلوا منها ستارة وراءه اختبأوا... لاضرام
وتصعيد نار الفتنة في ديارهم، لتضحي للمنهم الأثيم... لتمرير تنفيذ مسرحية المهالك...
بابا... منه ينفذ الدخيل الغاشم الى منطقتنا ذات الأهمية الاستراتيجية البالغة، ليطبع الاخوة
بصندلية اقتتال الأيدي الصهيونية الخبيثة، ليقضي الى مطامعه، ويدور في فلكه يسخرها كما يريد، نارجها عليها لمعوضه!
ما الأسرة اللبنانية الا ضحية الغادر المجرم، ليمعن قتلا ودمارا، ليبني على أشلائها أمجاده!!!
هلا نعتبر من مأساتنا، لتصفية خلافاتنا جذريا، باستئصالنا بذور الأزمة،.

منقطع دابر الفتنة، و نقضي على المتآمرين الاثمة. ما لبنان المنكوب الا كبش الانقسام بين ابنائه! تنازع اللبنانيين اهلك، حياً لعدوهم الطامع فرصة ليندس... فاعتصموا! عالم تتبرع مخلصين، في ازالة التناقضات بين الاخوة المختلفين، ليجتمعوا متكاملين، ويبادلوا بعضهم متجاورين، في مصلحة البيت اللبناني الواحد، فلسوف تكون احداث لبنان، حلقة من سلسلة لم تنقطع بعد، ما أدت الى فاجعة شبيهة بمأساة فلسطين!

في تدمير لبنان، مؤامرة على امتنا، تخطيط للدعوى الى اقامة دولة فلسطينية ديمقراطية. فالمسيحي واليهودي يدلي بدلوه لتحول دون انتصاره، للحفاظ على استقلاله، لا حرصاً على التآمر، صوناً لسيادته هو، حرصاً على قضيته المقدسة التي ننادي بها؟ ألم نر ان جامعة العربية دارت في واد؟ وغدت امينة العام لم تلق اذناً صاغية، لان امتنا لا تعبأ بالخلافات. لابد ان صراعاتنا العربية، ترادفت صفوفه تمزقاً ودمر تمزيقاً. لبنان ضحية التغريب والتعريب! وهو سر الى دركات الحرب، وصمة عار في جبين العرب! انقساماتنا هي الناخرة علينا! هي مرضنا العضال!

لن اخفي عليكم، ايها الاخ الحبيب، ان تسرب عدوى التفرقة الى صفوف المنظمات يؤلمني في الصميم. تفككنا يشل حركتنا الثورية، يعيق تقدمنا، و يمنينا بالفشل. ان الصورة طمست الاصل للحقيقة المجردة، لأن نشازها البريء، في ابرز قضية ترتكز منظمة التحرير بامانة للمال، فقلبت المفاهيم رأساً على عقب، افقدت كبار القادة مجرى الظلم وكيف يلاحق الشعب الفلسطيني، بشرعية مطاليبه. تفهم الرأي العام العالمي لاوضاعنا البائسة، لتطلعاتنا الثورية المحقة، ايقظ الضمائر بعد سبات عميق طويل، اكسبنا عطف الكتلة الدولية ما نحن مرموقة. موقف موحد للمنظمات، اذ يدعم هذه القناعات، هذا العطف والتأييد، يرحب بالامم وقد تفتحت عيونها، لتهرع لنجدتنا، لتعمر جادة لاوضاعنا، لا تكتفي بالنقاش والقرارات. بالكلمة الجامعة، مكاسبنا اعلامياً، تنقلب الى انتصارات عملية. ولكن... لسوء الطالع، انقسام صفنا يحول دون قطفنا عملياً ثمار جهودنا المضنية. نهدم بيد ما نبني بالاخرى!

ما من بديل لجمع شملنا، أشتات، بجامعة سلاحاً، للسير قدماً في انجازاتنا لتحليقنا. العاقل من اعتبر واهتدى. في حرب رمضان، لم ننتصر متحدين متضامنين، لابتلاع الوحدة. لو تابعنا حربنا الى اخرها، لوفرنا على امتنا حرباً قاسية. لان اسرائيل اليوم، لقمة سائغة! مركب النقص الذي منه تعاني اسرائيل في اعقاب هزيمتها، عقّدها، يكبل يديها، حطمها، نشر البلبلة في صفوفها، انعكس على اوضاعها الداخلية، فتردت وانهار اقتصادها، ادخارها افقدها ما تبقى دولياً، تعيش في عزلة. واحكام الطوق حول عنقها، بكلمتنا الموحدة. نضيق وحده بذوبانها تدريجياً، نخنقها، باستسلامها. قوة اسرائيل ليست مطلقة، طاقاتها نسبية، بأسرها تستمد من ركاكة صفوفنا. لطالما استمر الانقسام ينخرنا لن تقوم لنا قائمة! لا خير يرتجى الى ان نغير ما بانفسنا. اسرائيل قائمة، بامان، طالما العرب متفككون!

لشعوبنا العربية، زمان رحى عاشت مجردة من حقوقها، من كرامتها، مضطهدة، في صراع مع قوى شريرة، صمدت على طردها من التاريخ لتحيا على ركام. لقد ضاق صدرها وعيل صبرها من التخلف، من الحرمان، من التشرد، وسئمت من التحدي والانحطاط والهوان والابتزاز. هي اليوم تتوق الى النهضة، الى الحياة، ايا كان الثمن، لتستعيد مكانتها وتعود الى سالف مجدها. هذه النار الكامنة المستعرة في صدورنا، من يذكيها ويحولها الى طاقات خلاقة في وحدة بلادنا العربية، الا الكلمة الموحدة بين صفوف ثوراتنا الفلسطينية.

الاتحاد والترتيب، رغم اختلاف الانظمة، بين الشقيقتين سوريا والاردن، ما احلاه!
لكم يبعث في النفس الامل والنشوة، التقارب الذي حصل بينكم وبين الاخ الكريم صدام حسين المقدام،
ابن صديق. ليت الخطوات الاتحادية المشبعة دروسا، الواعية، المنشودة، الراسخة، تتسع لتصهرنا
في وطن كبير، يرفرف عليه علم امتنا الواحدة. هذه الامنية حلم نحلم به، اذا ما تجسدت، احدثت المعجزات
آنذاك لن يستعصي علينا منال، بالوحدة الفعلية. القوة في تكاتف النفوس.

النزعة الاحادية، اذا تسربت الى روح المواطن العربي، وكبلته، وقولبته،
ودفعته، تجعله فرداً، يتعايش وحيداً، متخلفاً، عقيماً، ومات هزيلاً. "الانا" التي لا تملك
ان تتخطى ذاتها في "النحن"، تحيا حتى الزوال، هي التي تقضي، لا تزال في عزلة. بينما "الانا"
التي تصهر انانيتها في الجماعة، تعطي طاقة اكثر نجاعة، نماءً وسعادة وحياة. "حبة الحنطة
التي تقع في الارض، ان لم تمت، تبقى وحدها. واما ان ماتت، فتأتي بثمر كثير"
والجماعة، احزابا كانت ام منظمة ام اوطانا، ان لم تخرج من آفاقها الضيقة،
محطمة قيودها، لتنفتح على عالم اوسع، تذيب فيه طاقاتها لاجل غيرها، لا تبلغ قدرها، لانها
تدور في حلقة مفرغة، تذبل ضمن نطاقها الضيق. نضارتها في تجاوزها لنفسها. حياتها في
تخليها عن ذاتها، لتنضم الى المجموع، تحيا بالمجموع ومعه.

هذه الديالكتية، اذ تحرر الفرد والقائد من عبودية "الانا" وتخضع سلطان
الاثرة والانانية للصالح العام، للمصلحة المشتركة، تبعث فينا حياة اكمل، اخصب، انجح، اسعد.
هذه العقيدة، اذا ما عشناها، تزيل التناقضات، هي مفتاح الحوار، تزول السدود، تعدو مع
الزمن والحضارة، تتجلى، تنبعث في التعايش وتفاعل المواطن مع جماعته، وانصهار الجماعة
في المجموع، بحياة كاملة بالبناء والمجد الذي ننشد مع احبابنا لكم السلام، المنجزات، وتحقيق
التطلعات — في الموت عن "الانا" خصب الحياة.

انما يفاخر بحبه لبلاده، اثرى محبة الاوطان، لانه حولها برج يتغنى احدى
لانه مسؤولية، من ايماننا بالله مولودة، والايمان حياة وعمل، لا رؤيا. محبة الاوطان، ترفع
عن الذات، بذل وعطاء، لا عاطفة. لقد ادعينا ما في محبة الاوطان من قدسية، من مفاهيم،
من زمن اجيل، استغلها الانتهازيون، خصصا لمصلحتهم. لتنال شعوبا ضاع جهدها.
محبة الاوطان تطالب بالاستشهاد، لا تكتفي بالشعارات! اي محرقة قدمت الاوطان؟ ما الذي
حققت وساهمت لبلادي؟ لن اتقدم من لبوتي، لن تنهض امتي، الا اذا كنت مستعداً ان
اذوق انواع الموت من اجل قضيتي، من اجل عروبتي. محبة الاوطان، كغرسة مغروسة بالنفس، لا
نار تضرم في قش، لتخمد كلما شبت، بسرعة، وتنقلب رمادا. خدمة الاوطان، نعمة لا يستحق
الا من جنى لها حياته، في الكبير والصغير من تصرفاته، من غذاها بالحرمان، لتتأجج في اعماق
روحه، فيتشبع منها، ويشب حولها لتشب عليه.

محبة الله ومحبة الاوطان تتشاديان. الاولى الواحدة من الاخرى. من يموت دفاعا
عن وطنه في سبيل ربه يقضي، هو شهيد لكونه اسمى ادى الشهادة. انا عربي، نشأت الاسلام
ومسيحيته الاجزاء. ترعيتي هي الاساس لمسيحتي المسيحية. مسيحيتي واحية عقيدتي عالم
انا عربيا في الصميم، حتى الثمالة. خيانتي عروبتي، تنكر وخيانة لدياناتي. حقيقة مسيحيتي
مسيحيا بدون تفاعلي عربيا. في استشهادي حبا بابناء قومي، شهادة للخلاص والفداء.
دروس الفدائية، تلقنتها في مدرسة المسيح الفادي. انا خريج معهد الصليب
"ما من حب اعظم من ان يبذل الانسان نفسه، فداء عن احبائه." يبذل المسيح نفسه،

حبيباً بأبنائه وخلانه، حتى الدم، حتى الموت، عبر سر الفداء، سر خلاصه للبشر. فداحمى:
للفتح عنواناً، فتح لنا أبواب أورشليم السماوية.... قائداً للتحرير، إذ حررنا من عبودية
الشرير... المقاتل المثالي في أوسع ساحات القتال وأسمى ميادينه، في محاربة الإنسان للنزوات،
لقوى الشر، ليحيا طليقاً، كريماً. إنه الفدائي الأول! لكونه بالموت داس الموت.
وخرج المجبور من باب القبر حيث دفنوه وقام غالباً الظلام والظلم، باعثاً النور والحياة. بالموت،
لذا اليوم الفدائي، عملي، من اختصاصي أنا المسيحي. ديننا الفداء، أرضها أرض
الفداء، عالم منذ نشأت، فيه ترعرعت. لست دخيلاً... لست متطفلاً! يحق لكل عربي أن يصنع
تاريخ أمته، أن يبني أمجادها. مساواتي أن أجني ما يعرق جبيني غرساً من تضحياتي، لأني
قطف الثمار المرواة بدماء أخوتي. لن أكون "اتكالياً"! يحق مسالك العروبة وفلسطين الجريح،
سأرافقت فدائي، الفادي مثلي، تخفيفاً لآلام أبنائي، تحريراً لوطني، لأساهم في تحقيق تطلعات أمتي.

إن استقتني، يا أخي الكريم، قد حسبتني ممثلاً شرعياً لله يحق العادل
رسولاً للمسيح المجتمع، راعياً لأبنائه وخاصته. يوم الحشر، سيناقشني الرب حساباً صارماً،
عن أمانتي لتعاليمه، لقيمه، لعقيدته، عن أخلاقي إذاً لأمتي العربية أسرتي، لفلسطين
وطني بيتي، للناس أخوتي. محبة فلسطين والعرب تنبع من طاعتي له، من إيماني. ما نضالي
من أجلهم إلا تجسيد لعقيدتي، لصوت ضميري، لما أحسم العدل والمحبة. لذا، الوطن السليب
صليبي! كيف لا وقد تحول كل بيت في ديار المسيح وبلد الحرم الشريف، إلى جلجلة!!!
دفاعي عن أولادي، عن قضيتهم، حملت استقتني، سر كرامة تلمذتي للفادي. لست إذاً
كما يزعم أعدائي "مخرباً"! الفدائي... مخلص...!

واجبي، سبب اعتقالي، أتابعه بلا هوادة في سجني. أوصل صدى
أحنيفة أم هانية للكفاح؟ أولا أواصله وهم يصدون جهدهما محاولاتهم لتحطيمي
والنيل من إرادتي؟ لم يتورعوا في سفالتهم حتى من ضربي! لم أضرب عن الطعام منذ
الثامن والعشرين من آب، وأنا فيه مستمر، إلا تعبيراً عن سخطي لسوء معاملتي، استنكاراً
لشروط سجني المخزية اللاأخلاقية! في الأيام العشرين الأولى، امتنعت كلياً عن أي طعام. حالياً
أتناول كليب قسراً، بالأنبوب يدخلونه حتى معدتي، تارة من فمي وأخرى من أنفي. منذ [illegible]
باعتقالي، أقبع في زنزانة رطبة، مظلمة، كالقبر، [illegible]! لا أرى النور إصابة الأمراض
تنهشني! نزل وزني من ٨٩ إلى ٦٤ كيلو! لا بأس... الصاروخ لا ينطلق إلا ببلوغ
العد العكسي نقطة الصفر! مع انتفاضي جسد تسمو الروح وتتألق. الألم سلم النفس إلى الله.
اعتقادي به رحمة. لذا وهما يرتفع الثمن وتأتي من نتائج، لن أهادن، لن أستكين حتى الرمق...
كلما صدقهم من إذلالي، تحقيراً أمتي وشعبي، أشرح لن كرامة كنيستي.

في غربتي لا أضيع وقتي. فلا أرى أكثر فاعلية للصلاة والعذاب إذا
تضافرا، لا يطهران القلب ويقربانا من الله فحسب، إنما أيضاً بجريان الحوادث لتعشرها اللا-
مبالاة... من صومعتي، أرفع يومياً إلى العلي أحر التضرعات وأقدم له عذابي قرباناً، من أجل أمتي،
ليجمع الشمل، كي تزيد [illegible] ويتناصروا. من أجل جهود منظمة التحرير الفلسطيني، أفرادها وقادتها
الأبطال، ليسدد خطاهم في إحقاق حق. مع نية المشردين البؤساء من أبنائي الفلسطينيين،
والمنتزعين منهم الشهداء. لأجل إحلال السلام في ربوعنا، في العالم أجمع. عسى أن تتلقفون
رسالتي والحرب الأهلية اللبنانية قد وضعت أوزارها، والاستقرار مستتب في لبنان الحبيب،
والمحبة مخيمة على ربوعه. تقبل يا رب عذابي، واستجب إلى دعائي.

ما يعزيني اولاً، ايها الاخ الحبيب، احساسي العميق بحبكم وصداقتكم لي الى الحد الذي ان يعبر عن شكري وتقديري لما اظهرتم في شتى المناسبات من عاطفة اخوية تجاهي، والجهود التي بذلتموها لاطلاق سراحي. رجائي ان تنقلوا الى حضرات الاخوة الكرام السادة: جورج حبش، نايف حواتمة، احمد جبريل، زهير محسن، عبد الوهاب الكيالي، صادق محبتي واحترامي، مشفوعاً بعظيم امتناني، للاهتمام البالغ الذي اعاروه لقضيتي، لما ابدوا من رغبة حيالي. حيث الشرفاء الابرار، الذين ابديتم محاولة الافراج عني، يلازمني شكر قلبي. لقد عاهدت ربي الزكي، باستمرار التزامي في النضال الاممي الوطني الشعبي، بمضاعفة نضالي في صفوف المنظمات، حتى آخر رمق من حياتي، سداً لما فاتني من جهاد وتعويضاً من فراغ.

الآن وقد افضيت لكم، اخي الكبير، بما يختلج فؤادي، وطبعت على كل صفحة بعض آلامي، واضعاً في قلبكم الكبير آمالي، اشعر بالطمأنينة تغمرني. سجني لا يضنيني، اعتقالي قربني من الله، ولعلني بمحبة الرب هي السعادة. انما يقلقني ما نشاهده... احداث لبنان... ومضاعفاتها وذيولها، هي التي تدمي قلبي! لذا اطلت عليك حديثي! لقد شكلت كابوساً جثم على صدري، غمامة كثيفة داكنة، زادت زنزانتي ظلمة ووحشة، حمل لي العدو ومخرجها فوق رأسي انا، في وسائله الاعلامية وتصرفه، وابلاً من الهزء والشماتة!!! في ظروفنا الآنية التاريخية المصيرية، ما احوجنا الى التماسك! جمعنا المتراص، هو السد المنيع لصد المؤامرة الحاقدة ضد لبنان... لغزو امتنا... هو سلاحنا الامضى في معركة الحق والكرامة. ليت ربي يتقبل حياتي قرباناً على مذبح وحدتنا! الى المغربي راجياً سعيداً.

امنيتي كاثوليكي هنا، الوعي النابع من ايماني، تتفضلوا بنقل الى فخامة الرئيسين الحبيبين السادات والاسد، مشفوعة بعميق محبتي واحترامي ان الطعم البشري لانتصارنا الخالد في حرب رمضان، لا نزال نذوقه، ما زال تحت اضراسنا، الجماهير العربية تطالبهما بالمزيد!

تحية المحبة والاعتزاز، ابلغوها الى فخامة الرئيس الاسد، رداً على تحيته لي عبر الاثير. انا ابارك بصلاتي الحارة، جهوده المضنية، لاحلال السلام في ربوع لبنان، لتشد التآخي والمحبة بين افراد الاسرة اللبنانية. وقفة الرب ركيك ساعده ليتوجها بالنجاح التام ليرفع يومياً من المضرعات احرّها، على نية فلسطيننا ورؤسائنا الاجلاء، ذاكراً شعوبهم، جيوشهم وساعديهم. من اجلكم ايها الاخ المناضل الصنديد، من اجل قادة منظماتنا البواسل. من اجل اسرة منظمة التحرير الحبيبة. للأمم المقدس جميعاً ليفيض الرب حبه وحفظكم بوافر النعم والبركات، ليسدد خطاكم ويجمع كلمتكم لما فيه ازدهار بلادنا، سعادة شعبنا، نصر وعزة امتنا.

اخيراً، قلبي المحب الخالص، الذي يصحبكم باعتبار صباح مساء، صلاتها تحرسكم بعناية المسيح، الاحتفاظ بكم، لعودة شعبنا الفلسطيني الى وطنه السليب... الى الكرامة... يتحسس اليوم بمدى حبكم وخطورة اعبائكم، في خضم الاقتتال اللبناني المؤسف.

ولكن.. لما كانت مسيرة الحياة وسعادتها في الجهاد، والمطالب بالحق لا يطيب، ما لم تؤخذ
غلاباً، فهنيئاً لكم، وانتم للبذل والكفاح عنوانا! صروح الكرامة، الذين تناضلون لتشييدها،
بإيمانكم ودم قلبكم، لاقتلاعكم، لاستعادتكم اولاد فلسطين، بمؤازرة حلفائنا العرب واخوتكم
قادة المنظمات. لسوف ترتفع بلا ريب، شامخة، شاهقة، لان يد تحت المعاول
بالأكيد، تصدقه بيده سواعدكم وبهديكم، بيت طهركم وحرمكم أيها، يا اخي الحبيب ابا عمار!
ان لم يبن الرب البيت، فباطلا يتعب البناؤون.
باركم الاله القدير ورعاكم، يا سيادة الاخ الكبير ياسر، وليشد
وحدتكم العقودية التاريخية والنجوم، في تحقيق السلام في ربوعنا لتقيام العادلة.
ليجزل تداعياتكم، لتحملكم من النبعات احسنها، وتحميكم من الصعاب اشقها. اخالني بين
بعزمكم، لتقرع عينكم برؤيتنا صواكب قوافلنا العربية الشاملة بنشوة النصر والكرامة،
المطلقة في غمرة فرحتها بت تبيح الشكر لله، الجمع شملها بعد طول البعاد ومرارته،
على درب عودتها... الى الديار الحبيبة.. الى الاهل والخلان... الى قدسنا كالعادة...
الى فلسطين [illegible].
بحقك وحقنا، برحمتك وقوتك، اللهم، انا لعائدون..

+ ايلاريون كبوجي
رئيس اساقفة قيصرية فلسطين - شرفا
النائب البطريركي للروم الكاثوليك
القدس

سجن المزة في الأول من أيلول سنة ١٩٧٦

سيادة الأخ الحبيب ياسر عرفات الجزيل الاحترام
رئيس اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية

ابثكم مع تحيتي الاخوية الحارة، خالص اشواقي، داعيا لكم بوفرة النعم، سائلا الله ان يحوطكم وسط مسؤولياتكم الجسام، بالعون العلوي، وينير سبلكم، ويلهمكم ما فيه مصلحة العرب، وخير فلسطين، ضمانا لعزتها.

لا بعد اشهر خلت، بتاريخ الثاني من ايار، اذ أبى ان تقحم الفلسطينيين في الصراع اللبناني الدائر، وبالتالي قبيل تأزم اوضاعنا، عندما كنتم لا تزالون تضطلعون بدور الوسيط بين الاخوة اللبنانيين المتقاتلين، بتمام التوافق مع كل الاطراف المتنازعة، وبالتنسيق الكامل مع الشقيقة سوريا، افلحت في اخراج رسالة مسربة لسيادتكم من سجني، لم تستلموها حتى الآن للاسباب التي سيشرح لكم موصلها، حامل هذه الرسالة.

ولكم كنت اود اليوم، ايها الاخ الحبيب، في غمرة تطورات احداثنا العربية المذلة وتأزمها، مع تحسسي، كرجل دين يجمع لا يفرق، التدخل في النزاعات، في حال لا يعفيني من التأثم بالملامة لعدم تحديد المسؤوليات، ان ارسم خط عزمي، انا الآن دون دم في بيتي العربي الكبير، وسجين محبتي لفلسطين التي لعوديتها أحببت من جها انطباعاتي حيال تفككنا العربي، ازاء الحرب الاهلية اللبنانية المبكية، لتتبينوا مدى الهمي وغمي! ولكن أنّى لي ذلك:

بمجرد تأملي بالنفق ما نعانيه المستفحلة، هذا السوس الذي ينخر وحدتنا، فاضعفنا وارجعنا القهقرى، وفي الغربة سيقضي علينا ان لم نسارع الى علاجه جذريا...

اذ افكر مليا من ثم بالواقع لبنان المرير المخزي الذي اصبح بالحياة شبه، بمصاعبنا عربيا، بالارواح البريئة التي تزهق على ارضه، بالدماء الزكية المراقة، بالمآسي الدائرة على ساحته بين العمار الحضري والمادي، باستحالة هذا الاقتتال من احقاد ومن رواسب، من ذيول، خرجنا لبنانيا، فلسطينيا

— لدى الاسى لدى تقاعسنا في ايجاد الدواء لاوجاعنا التي طالت حتى استحكمت، فاذابت مكاسبنا القومية مبكرة آمالنا وتركت بنا الى الحضيض، الى الدركات...

— الصورة العربية القاتمة هذه، اذ تدمي قلبي، وتدمع عيني، وتثبط عزائمي، تشل يدي، فتمنعني عن الكتابة!

متى كانت الحرب، بين الاشقاء خصوصا، سبيلا الى التفاهم، طريقا الى الاصلاح والبناء؟ لقد اثبت التاريخ نفسه ان القاهر لعدوه، المحرز عليه انتصارا مبينا، لا يخرج من المعركة الا خاسرا، اي غلبة اذا هي تلك التي يحققها اخ ضد اخيه؟! ما نستفيد؟ ما جدواها؟ سواء في عرف الانساني! اهي عقيمة، هدامة! وذلك الاطراف المتناحرة عربيا، والفئات المتقاتلة على ارض لبنان، لن تجني من نزاعاتها الا الجرائر وخيبة الامل!

عدونا المشترك، المهلل لتمزيقنا، هو وحده المنتصر [illegible]!

يا أسفنا وا حسرتاه! ما أدى إليه تمزقنا عربياً، لم تره عين، لم تسمع به أذن، لم يخطر ببال بشر: حتى إسرائيل المتباكية، الذارفة دموع التماسيح، برأي المعبر للأحداث الدامية المؤلمة بأرضنا، هي نفسها لم تكن لتحلم بأن خططنا هذه بما وفرته من مذابح! الأسبوعيات...! أوصل جنوننا أبناءنا، أهلنا، أثمن ما نملك، ليقاتلوا في سبيل شرف الجنوب، جنباً إلى جنب، صفاً واحداً، شرفاء، ذوداً عن أوطانهم، لا علاقة لهم [illegible] أم ليتقاتلوا ويتطاحنوا...، ويجعلوا من ديارهم مقابر يواروا فيها أذلاء!!! الأسلحة التي حصلنا عليها بثمن غال، "لقمة الخبز" [illegible]، التي نصوبها إلى صدور أبنائنا، لا إلى صدور أعدائنا؟ أثأرنا في تضحيتنا بالغالي والنفيس، لنسخر أنفسنا [illegible] لهذه إسرائيل، لتشفي غليلها بنا، على أشلائنا، على جثث أبنائنا، أجدادنا؟ أوصل الحمق بنا إلى الموت [illegible]!!!

يا ضحايا المذابح البائسة هذه، نحن بلا شك في نفسكم وذلك [illegible] الذي يجرح، أنتم الذين سقطتم [illegible] للتضحية والبذل، في خدمة [illegible]، في النضال دفاعاً عن وطن مغتصب وشعب مشرد، [illegible] بخلاف بين أوطاننا، لصدع الصف الفلسطيني الذي لطالما أشدتم، ومن أجله بلا كلل ولا ملل عملتم، لكم ينفض [illegible] ويبعث فيهم الألم والأسى!

لنا فيما أنتم [illegible] للوعة، وإن [illegible] من وحدة وجرح وعزائنا وتوكيدنا أن أرواحكم [illegible]، من جوار قلبي، هنا في هذه [illegible]، إلى نداء قلبكم المؤلم الغالي، [illegible] المقدسة المعلقة على [illegible]... أستحلفكم بدماء جميع الشهداء أن تستأنفوا دوركم [illegible] البناء الذي اضطلعتم به في مسيرة الأحداث، لكي تقطعوا على المتآمرين، كي توقفوا فرص التعاون والتنسيق مع الجميع، لاحتلال [illegible] لبنان والخراب، العظيم الناجم عنه. كفى أحقاداً... كفى... كفى تشرذماً!!! خصاماتنا المخزية التي تكلفنا غالياً، دون أي جدوى، لا ينعم منها إلا أعداؤنا [illegible]! هو وحده الفائز! أما آن لنا أن نجمع كلمتنا، أن نضمد جراحاتنا، [illegible] بالعمل! [illegible] لبناء ما هدمناه بأيدينا... كي نعيد إلى أمتنا وحدة صفوفها، [illegible] وإلى لبنان الممزق، وحدته، دوره الطليعي، [illegible] مع من يعمل لهذا السبيل، تحقيقاً لأمانينا القومية. هذا هو الضمان الأعظم لعودتنا إلى ديارنا، [illegible] انتصارنا فلسطينياً بمقدار [illegible] عربياً.

فيما أكرر يا سيادة الأخ الحبيب، تحياتي القلبية المقرونة بأشواقي، [illegible] أسأل الله أن يبارككم ويحفظكم مغمورين بالبركات، [illegible] صلاتي ويشفق [illegible] عالمكم ويسدد خطاكم، ولتحققوا أمانيكم، وما إليه يتطلع أبناء أمتكم ووطنكم من محبة، من تضامن، من سلام، من [illegible]، إنه على كل شيء قدير.

المخلص

+ ايلاريون كبوجي

رئيس أساقفة قيصرية فلسطين شرفاً

النائب البطريركي للروم الكاثوليك - القدس.

سجن بيرطلستة في ٢٧/١٢/١٩٧٦

سيادة الاخ الحبيب ياسر عرفات الجزيل الاحترام
رئيس اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية

اخي الاخ الحبيب
اخاطب سيادتكم كلمتي مدفوعاً بعاطفة اخوية عميقة صادقة . صدق قلبي الذي يسطرها لا قلمي . الرب وحده يعلم كم فكرت بكم في الايام العصيبة المريرة التي عشتموها ابان الازمة اللبنانية ... مثل ظهلكم لازمتكم ليل نهار !
لمؤازرتكم جندت كل ما املك في سجني : الصلاة وعذابي ، كي يسندكم تعالى بنعمته ، ليعضدكم انتم الحاملون على كاهلكم من المهام اجسمها ، ليسهل سبلكم ، ما تأخذ ايامكم النور ، العزيمة ، الصبر ، حتى تخرجوا ونحن معكم من المحنة ... سالمين .
كم مرتاح انا الان لعودة الامور الى نصابها . له تعالى الحمد الاشكر لجهود اشرا لله خيرلكم : استفتاح العدل من الاحداث ، ايا كانت الذيول ، تلك هي الزعامة ! المعالجة الواقعية للمشاكل هي دليل الذكاء لابل العبقرية ... لذا من صميم قلبي اهنئكم على مبادراتكم الواقعية تصفية للخلافات . هي البرهان الحي لتجردكم الكلي عن ذاتكم ، لاخلاصكم اللامتناهي لقضيتكم ، لشعبكم ، لامتكم ... انتم لا زلتم في نظركم حالي عن حنكة ودراية . في هذا اثمن عظمتكم ... اني افاخر بكم قائداً حليماً مخلصاً .
اجد المعذرة لتأخر رسائلي ، اذ اني اجد صعوبات جمة في اخراجها ، للاسباب التي سيبينها لكم حاملها . لقد مضى اشهر على كتابتها وبذلك فقدت موضوعيتها ... لذا ترددت كثيراً في ارسالها ..
موضوعي ، كما مبدئي ، لم يزل صعيداً ... الصبر والايمان هما جنة المظلوم ... ليكن اسم الرب مباركاً على كل حال . شروط سجني قاسية للغاية لاانسانية ! انما لما كنت اجد فيها خير منبر للاعلام ... عن قضيتنا ، عن مدى الظلم وكيف الاحقاد بشعبنا ، من حقوقنا المهضومة ... لذا تراني سعيداً . هذا ما يعزيني ويبدلني . مستقبلاً ، ان اراد الرب ، لخدمة اخوتي الفلسطينيين وامتي ، ساكرس ما تبقى من عمري . الرب يمهل ولا يهمل ...

إني دوماً بالفكر والقلب برفقتكم وبمعية الإخوة الأحباء السادة المحررين: جورج حبش، نايف حواتمة، أحمد جبريل، زهير محسن، عبد الوهاب الكيالي، سائلاً الله توفيقكم، جمع جهودنا ووحدتها، عودتنا الغريبة، السلام لربوعنا للعالم... بلّغوا كلاً منهم، انقلوا إلى مساعديكم ومعاونيهم، تحياتي الأخوية مقرونة بمحبتي وتقديري. غمركم الرب أجمعين بأنواره وسدد خطاكم وآزركم لخدمة فلسطين وأمتنا الحبيبتين.

ثم أدعوه تعالى ليريح أرواح شهدائنا الأبرار... وأن يأوي المشردين من أبنائنا وأخوتنا ويضمد جراحاتهم... ليعوض ما فقدته ثورتنا من رجال و...

فها أنا أقبل وجنتيكم تعبيراً عن شوقي، عن محبتي، عن احترامي، ومهنئاً بالسنة الجديدة ١٩٧٧. حقق الله خلالها أماني قلبكم الكبير، منحكم العافية، أخذ بيدكم، لتحققوا ما إليه تسعون بلا كلل: خدمة فلسطين... عزة العرب.

أخوكم المخلص

المطران إيلاريون كبوجي

رئيس أساقفة قيصرية فلسطين شرفاً

النائب البطريركي للروم الكاثوليك

القدس

سجن الروضة في السادس عشر من اذار سنة ١٩٧٧

سيادة الاخ الحبيب ياسر عرفات الجنرال الاحترام
رئيس اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية

مصرع المغفور له كمال بك جنبلاط .. مأساة يستنكرها الشرفاء ، وربما يكون مصدره مرجعه الى المبدأ الذي به يدين ... من جبين الذين يندى خجلا واشمئزازا ... لقد صدقت كلمتنا فيهم !!! اغتياله اعتداء سافر على الاخلاق والقيم والمثل العليا التي لها عاش ومضى شهيدا فيها .

فروسيته ، رحمه الله ، وفيا لربه وضميره ، مستقيما في عقيدته ، حريصا على وحدته ، مخلصا لقضيته ... كالشمعة اذاب عمره لخدمة وطنه ... حياته كلها ، وقد قضاها زاهدا ناسكا ، كرسي للانسان الذي احب فقدره ، وعند ذاك حتى مماته.

ألا شلت تلك الايدي الاثيمة العميلة التي اطفأت هذه الشمعة !!! انه الحقد الذي يعمي البصيرة ويجعل من الانسان دمية تتحرك ! متى كان العنف وسيلة لحل المشاكل ، لتسوية النزاعات ؟ العنف سلاح الضعيف الجبان !!! الاغتيال تجسيم للانحطاط والسفالة ... هذا الجبن يعيش الجبناء. لا يلجأ اليه الا الرعاع ان صح التعبير ... لا يستقيم به الا مرضى النفوس ومعقدوها ... هو من صنع النفس المعقدة !!!

الاخ الحقيقي ، لا ينحدر الى هذه الدركات ، وربما احتدم الصراع مع شقيقه ، وربما تباينت وجهات النظر . تلك : زمرة باعت نفسها للشيطان سخرت لخدمة اهداف ومصالح اعداء امتنا ... لفتح الجروح المضمدة ... للايقاع باللبنانيين وباشقائهم الفلسطينيين على السواء ... لتهديم ما تبقى من لبنان ، ما بني من آمال واماني ، باشعال حرب اهلية جديدة !!! أترى ، ظمأ جلادي السفاحين الى الدماء الى الدمار ، لم يرتو بعد ؟!

[illegible] أنه ، وبهذا نكتشف حرية بناة الوطن [illegible] فبالحب [illegible] بإيمانهم بالحرية والاستقلال ، وبما [illegible] من [illegible] و[illegible] [illegible] الأجيال ، [illegible] ، [illegible] [illegible] والتراث [illegible] .

[illegible] ، أن تستفيدوا [illegible] إلى نجل المرحوم ، السيد [illegible] آل جنبلاط الكرام ، [illegible] [illegible] في لبنان والعالم العربي [illegible] [illegible] ... [illegible] مع المجاهدين الذين [illegible] للحياة ... مع [illegible] [illegible] دنيا ودنيا .

[illegible] بالعديد من [illegible] ، لكن نحن [illegible] [illegible] [illegible] ... وإنا إليه راجعون .

المخلص

+ المطران ايلاريون كبوجي
رئيس أساقفة قيصرية فلسطين شرفاً
النائب البطريركي للروم الكاثوليك
القدس

نص الرسالة التي وجهها الى الرئيس العراقي احمد حسن البكر من سجن الرملة .

سجن الرملة في ١٨ آب ١٩٧٧

سيادة الرئيس احمد حسن البكر الجزيل الاحترام

الجمهورية العربية العراقيـة

يا صاحب السيادة

لسنة خلت للذكرى الثانية لاعتقالي ، تكرمتم فأوعزتم باصدار طابع بريدي اعلامي حاملا رسمي ، انا السجين المعبر بالعبرات المنحدرة دما عما نعاني من ظلم ونتحمل من بؤس ونقاسي من اضطهاد منذ قيام دولة الصهاينة على انقاضـنا .

هل من العدل أم الصواب او الحكمة بشيء ، تهجير المواطنين الفلسطينيين من ديارهم ، وجعلها ، عقب اغتصابها ، موطنا لمشردين منبوذين ؟!

ان حل مشكلة لخلق مشكلة اعصى وادهى ، هو ظلم فادح . انها الغباوة بعينها . ان نكبتنا مهما طالت ستظل وصمة عار في جبين محيكيها .

وما دام الاقرار بالغلط والرجوع عنه فضيلة ، فعسى الدول الكبرى ، بمحاولة منها ، ان تفتح للنور ابصارها المتعامية فتحمي الحق والحقيقة مدركة جريمتها النكراء بفرضها « اسرائيل » على الاسرة الدولية ، علها تلمس ذنبها وتتعظ فتحجم مستقبلا عن مساندة جماعة هم على البشرية عالة وللسلام العالمي تهديد مستمر .

سيادة الرئيس

باصداركم هذا الطابع القيم اعلاميا ، أغتنم هذه الفرصة وانا في ظلمات سجني مدفون ، أن اسمع الرأي العام عبر صورتي ، دوي صوتي ، ناشرا على رؤوس الاشهاد ما يكوي فؤادي ، وما يبكي كل عربي دما . ان انقل هذا للشعب العراقي الابي الممثل بسيادتكم كدين في عنقي واجب الشكر .

أستميحكم عذرا لتقاعسي حتى تاريخه عن تسديد هذا الدين · انما العين بصيرة واليد قصيرة ، فما أعانيه من عزلة ورقابة وشروط لا انسانية هو المـانع ·

على انكم يا سيادة الرئيس بلفتتكم الكريمة قلدتموني كرامة لا استحق ولم تخطر لحظة ببـالي ·

انا رجل دين لله ممثل والله محبة وما المحبة الا حياة وعمل وبذل وعطاء ، المحبة فداء لا عاطفة جوفاء ، ومن أولى بمحبتي ابان الشدة خصوصا من أسرتي ومن اخوتي وأولادي ، أوليس الصديق عند الضيق ·

بأسقفيتي كرست لله نفسي عبر خدمتي مصالح الناس · السلطة خدمة ، ان عظمتي في مسكنتي وكبير القوم خادمهم ·

انا عربي اؤمن بعروبتي ايماني بالله وبعده تعالى أعبدها · أحب امتي محبتي لديانتي · تقاعسي في الذود عن وطني خيانة لربي أوليست محبة الاوطان من الايمـان !

ولما كانت هذه المبادىء هي التي فرضت علي ضميريا ، دوري المتواضع فلا مجال لشكري على ما فعلت · لقد قمت فقط بواجبي وهذا الواجب هو الأولى بالاكرام مني ·

فالى ارواح شهدائنا الابرار والى آلاف الثوار المساجين من اخوتي وابنائي الصامدين المعذبين بصبر ، أسدي هذا التقرير ، رافعا لسيادتكم باسمهم عميق العرفان والامتنان ·

من الارض السليبة ، من عريننا ، ادعيتنا مع أفئدتنا ترافقكم · عيوننا اليكم شاخصة في هذه المرحلة الحرجة المصـــيرية من تاريخ امتنا ، حيث المؤامرات تحاك لتصفية قضيتنا ، اذ قوى الشر تتحالف لمؤازرة «اسرائيل» تحقيقا لمصالحها وأهدافها التوسعية ·

أمدكم القدير بعونه ، غامرا اياكم بأنواره ، ومسددا خطاكم لمزيد من التكاتف والتنسيق كي نسير قدما صفا متراصا حتى النصر في الوحدة التي هي القوة والسد المنيع والسلاح الفتاك ، الوحدة التي بها نعقد راية الانتصار ·

دعائي ان يعيش شعبكم الكريم شعاره الوطني الذي رسمته على هديتي الرمزية لسيادتكم وذلك لاعجابي بمغزاه العميق · وإذ يجسم العراق الحبيب

معانيه السامية ، يبرز للملأ شمسا محببة ونورا هاديا ، مشعا محبة وتضامنا للازدهار ، للقوة ، للعزة ، للغلبة . اللهم بارك رئيسنا الحبيب . اطال الله بعمره الغالي . اللهم أسبغ غزير نعمك مزودا اياه بعزمك ورضاك ونورك كي تقر عينه بما اليه يصبو من عزة وفلاح لأبنائه الكرام ، ومن نصر لقضيته وكرامة امته .

ختاما يا سيادة الرئيس اذ أبثكم محبتي الصادقة مؤكدا احترامي ، اكرر ورفاقي في الجهاد الشكر لسيادتكم معتبرين اكرامكم لنا حافزا لمدبة أشد لوطننا العربي الكبير ولامتنا الخالدة ولكل ابنائها . ان هذا التكريم سيكون دافعا لمزيد من الايمان بعدالة قضيتنا المقدسة واصالة عروبتنا .

كلنا رجاء ان يمن الله على نضالكم بغد قريب ، منير بالظفر ، مكلل بالنصر . لقيودنا مكسر ولاسرنا محرر .

بقوتك اللهم الى الديار . الى قومنا . الى قدسـنا الخالدة . اننا لعائـدون .

اخـوكم المخـلص

ايلاريـون كبوشـي

مطران القدس في المنفى

سجن الرملة في الحادي عشر من تموز ١٩٧٧

جلالة الملك خالد بن عبد العزيز آل سعود المعظم

يا صاحب الجلالة

في فؤادي لكم احلى صورة، بجليل خدماتكم موسومة. ان صورتكم لا شك لا تبارحها ايمانكم بعروبتكم وحبكم لامتكم، تلبية لنداء ضميركم الحي وعملا بشيمكم الموروثة. لذا جئت برسالة من الاعماق محفوفة. « قد تعشق الاذن قبل العين احيانا » عبارة مأثورة، انما حقيقة لا اسطورة

يا صاحب الجلالة، ان تفانيكم في الذود عن قضيتنا العربية المشتركة، ونضالكم بلا هوادة من اجل قدسنا الحبيبة عربية، وجهودكم الجبارة التي بذلتموها لانعقاد مؤتمر القمة المصغر في الرياض في تشرين الاول ١٩٧٦م، وما عنه نجم من اجواء اخوية، والغيوم التي بددها، والروابط الوثيقة التي جددها بين المتخاصمين، والمقررات الحاسمة التي عنه تمخضت لحقن الدماء بين الاشقاء في لبنان الحبيب، ذلك كله، مضافا الى الموقف المشرف الصامد الفعال للمملكة العربية السعودية، ابان حرب رمضان، من حظر للنفط، ومن اشتراك في معركة التحرير، منقوشة لا تمحى الذاكرة من في اعماق القلوب.

لذا ايام كنتم منحرفي الصحة، الى السماء رفعت صلواتي ضارعا، ليمن عليكم تعالى بالشفاء التام ويمتعكم بالعافية، كي تعودوا الى امتكم، الى شعبكم وابنائكم سالمين، حتى تعاودوا مسيرتكم الحافلة بالجهود والجهاد.

اما اليوم، فتدفعني المحبة لشخصكم، والايمان باخلاصكم لشعبكم وتفانيكم على مصالحهم، الجأ الى جلالتكم، لافضي لكم بما لدي... راجيا باسم الله عونكم.

يا صاحب الجلالة، انا عربي. هذا عنوان فخاري. لامتي العربية انتمي. في اوداجها سائلة. منها انشر مستمد كرامتي. ان اهرق في خدمتها دمي، تلك امنيتي.

انا رجل دين. عروبتي ومسيحيتي توأمان. محبة الله وخدمة الاوطان متساويان. من لا يحب امته خائن لربه.

انا رجل سلام ومحبة. لذا اكره اراقة الدماء. ما الحروب الا ابرار

الصفحة الاولى من رسالة المطران كبوتشي الملك خالد بخط يده .

نص اول رسالة وصلته من راهبـــات بيت لحم تعبيرا عن الحب الانساني للراهب الذي ضحى مـــن اجل وطنه وابنائه .

Emmanuel
Bethléem le 7 novembre 1977

Monseigneur et bien cher Père,

Voici enfin une lettre que ne lira pas la police d'Israel
et nous ne voulons pas tarder à vous dire la filiale affection avec
laquelle nous avons suivi par téléphone et télévision les heures dramati-
ques qui ont précédé votre libération.

Comme nous aurions aimé être, comme lors du jugement, le
long du parcours de l'auto pour un dernier au revoir .. je ne dis pas un
adieu, car nous gardons au coeur la ferme espérance de vous revoir à
Jerusalem. La vie humaine est si pleine d'imprévus que nul ne prévoir de
quoi sera fait demain.

Dimanche, les cloches des syriens-orthodoxes de Bethléem ont
sonné jusque tard dans la nuit, ainsi que celles de Bet Sahour, en signe
de joie pour votre libération. Lundi les gens de Bet Sahour ont fait des
manif stations avec des flambeaux. Tout le monde est content de vous savoir
hors de la prison et, en même temps, nous sommes tristes de vous savoir loin
de Jerusalem, loin de vos enfants qui ont vécu pas à pas, dans la prière
et l'affection, votre dur calvaire.

Dans le Jerusalem Post, qui ne se gêne pas pour dire des
bêtises, il y a une très belle photo de vous agenouillé avant de baiser
le sol de la Patrie. L'expression de recueillement est intense et le visage,
pris de profil, ressemble au visage du Christ lors de la Passion. Nous
avons découpé le journal et mis la photo sur un fond blanc et c'est vraiment
la meilleure photo que nous ayions de vous. Je pense que tout cela vous
arrivera à Rome.

J'espère aussi que nous continuerons à avoir fréquemment de
vos nouvelles, car, même dans le silence de la prison, votre présence rem-
plissait tout le pays. Maintenant c'est un grand vide .. mais nous conti-
nuerons à prier pour vous afin que votre santé se rétablisse, que votre
dos s'arrange et que vous récupériez, non les kilogs, mais au moins les
forces physiques que vos jeûnes vous ont fait perdre.

Dans une autre lettre, je vous entretiendrai du monastère, de
sa marche harmonieuse vers le monastère oriental, des espoirs de vocation
et du bon zèle des novices. Sans doute, le dimanche après Noel nous fêterons
de nouveau l'anniversaire de la dédicace de l'Eglise que nous avions interrom
pu à cause de la situation de deuil de l'Eglise melkite. Ce serait bien que
vous nous fassiez un petit message que nous pourrions lire ce jour là. La
seule fois où vous aviez célébré cet anniversaire, le maire de Bethléem était
venu et tout le monde se souvient de votre sermon, spécialement la maman de
Malvina, notre novice orthodoxe, qui était là avec la famille.

Les soeurs (y compris la première soeur d'Espagne arrivée pour
nous aider) se joignent à moi pour vous souhaiter la bienvenue à Rome et
vous dire combien votre esprit est parmi nous en Terre Sainte. Bénissez-nous
cher Père évêque, et souvenez-vous de nous protéger de loin comme vous l'avez
toujours fait de près. Nous baisons vos mains enfin libres et vous assurons
de notre fidèle et filial amour.

صورة الرسالة باللغة الفرنسية .

بيـت لحم في ٧ - ١١ - ٧٧

سيدي وابي العزيز

واخيرا هذه الرسالة التي لن تقرأها الشرطة الاسرائيلية • ونحن لا نريد أن نتأخر عن الاعراب لك عن مدى عاطفتنا البنوية ، التي تابعنا بها سواء بالهاتف او التلفزيون ، الساعات الدراماتيكية التي سبقت الافراج عنك •

كم تمنينا ان نكون ، كذلك كانت حالنا وقت المحاكمة ، معك في رحلة السيارة خلال الوداع الاخـير •

لن نقول وداعا لاننا نضم في قلبنا الامل الكبير للقائك ثانية في القدس •

ان حياة البشر مليئة بالتوقعات التي لا يستطيع احد التنبؤ بها في الغد •

يوم الاحد دقت اجراس السريان الارثوذكس في بيت لحم حتى ساعة متأخرة من الليل • كذلك اجراسِ بيت ساحور ، فرحا بالافراج عنك •

يوم الاثنين تظاهر ابناء بيت ساحور بالمشـاعل • الجميع مسروروز لمعرفتهم انك اصبحت خارج السجن • وفي الوقت نفسه نحن حزاني لمعرفتنا انك ستكون بعيدا عن القدس • بعيدا عن ابنائك الذين عاشوا خطوة خطوة ، بصلواتهم وعواطفهم ، درب الصليب الذي سلكته •

جريدة الـ « الجيروزالم بوست » والتي لا تتورع عن قول الحماقات : نشرت لك صورة جميلة وانت راكع قبل تقبيلك ارض الوطن •

ان التعبير الورع ظاهر بشكل قوي على وجهك البادي جانبيا ، والذي يشبه وجه المسيح ابان آلامه • لقد قصصنا هذه الصورة من الجريدة ، وعلقناها

داخل اطار ابيض ٠ وهذه بالفعل افضل صورة حصلنا عليها ٠ اعتقد بان كل ذلك سيصلك الى روما ٠

نأمل ايضا ان نتلقى باستمرار اخبارك ، لانه حتى في صمت السجن ، فان حضورك كان يملأ البلاد كلها ٠ الان هناك فراغ كبير ٠ لكننا سنتابع الصلاة حتى تتحسن صحتك ويستقيم ظهرك ، وتعوض ، ليس وزنك الذي فقدته ، بل قوتك الجسدية التي فقدتها بصيامك ٠

في رسالة اخرى سأحدثك عن الابرشية بسيرها المتناسق مع الابرشية الشرقية ، بآمالها وحماستها الشبيهة بحماسة المبتدئين ٠

بدون شك ، يوم الاحد بعد الميلاد ، سنحيي من جديد العيد السنوي لاهداء كنيستنا والذي اوقفناه بسبب موقف الحداد للكنيسة الملكية ٠

سيكون جميلا لو وجهت رسالة صغيرة نقرؤها في ذلك اليوم ٠ المرة الوحيدة التي أحييت فيها هذه الذكرى حضرها رئيس بلدية بيت لحم ، والناس جميعا يتذكرون كلمتك ، وخاصة الام « ملفينا » الارثوذكسية الحديثة ، التي كانت هناك مع عائلتها ٠

الاخوات (ومنهن الاخت الاسبانية الاولى التي وصلت لمساعدتنا) يشاركنني تمنياتي لك بالاقامة الطيبة في روما ، ويقلن كم ان روحك هي بيننا في الارض المقدسة ٠

باركنا يا ابانا المطران ، وتذكر ان تحمينا من بعيد كما كنت دائما من قريب ٠

نقبل يديك حرتين اخيرا ، ونؤكد لك حبنا الامين والبنوي ٠

الراهبة
اختك
ماري

نص رسالة الاخ ابو عمار القائد العام للثورة الفلسطينية رئيس اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية الى البابا بولس السادس حول وضع المطران ايلاريون كبوشي .

٢٨ - ١١ - ٧٧

قداسة الحبر الاعظم

البابا بولس السادس

يطيب لي ان اتقدم من قداستكم باسم الشعب العربي الفلسطيني ، وباسم اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية ، وباسمي شخصيا ؛ بأسمى آيات الشكر والتقدير لموقفكم النبيل وجهودكم التي لن تنسى ابدا والتي أدت الى الافراج عن نيافة المطران المناضل ايلاريون كبوشي ، مطران القدس .

لقد كان سعي قداستكم للافراج عن المطران الاسير ، استمرارا لاهتمامكم الابوي بقضيته وهو يعاني عذاب السجن وآلام الاسر ، وما عذابات مطراننا الا جزء من عذابات شعبنا الاسير داخل وطنه المحتل ، والمشتت خارجه اضطرارا .

ان ارض فلسطين ، مهد السيد المسيح ، تشتاق الى اليوم الذي يعود فيه ابناؤها اليها ومعهم المطران كبوشي الذي ارتبط اسمه في قلوب الملايين من شعبنا العربي باسم القدس والتضحية في سبيلها وسبيل ابنائها .

قداسة الحبر الاعظم .

ان ما نعلقه من آمال على قداستكم وعلى المشاعر الانسانية التي تغمرون بها قضايا الحق والعدل في العالم ، يجعلنا نعرض لقداستكم رغبتنا

ورغبة كل ابناء المسيح في ارض مهد المسيح عليه السلام ، في ان يظل نيافة المطران المناضل ايلاريون كبوشي في رحابكم وقريبا من قداستكم في هذه المرحلة ، فلا يقع مرة اخرى تحت طائلة نفي جديد او عذاب جديد خارج اطار رحابكم او يبعد مرة اخرى الى امريكا اللاتينية او سواها ، وهي رغبة ينشدها الملايين من ابنائكم ورعيتكم في منطقتنا العربية .

يا صاحب القـداسة

ان ارض فلسطين وشعبها لن ينسوا مواقفكم النبيلة ودوركم العظيم من أجلها وأجلنا . ونحن على ثقة من أن محنة شعبنا تشغل حيزا كبيرا من أفكاركم واهتمامكم وصلواتكم .

اسمح لي يا صاحب القداسة أن أكرر لكم امتناننا وتقديرنا وشكرنا لدوركم الكبـير ، وأسأل الله أن يخيم السـلام على ارض السلام : فلسطين مهـد المســيح .

ياسر عرفــات

رئيس اللجنة التنفيذية

نص الرسالة التي ارسلها من روما الى الامين العام لجامعة الدول العربية ومؤتمر وزراء خارجية الدول العربية المنعقد في تونس .

بطريركية الروم الكاثوليك
بالقدس
ص.ب ٤١٣٠ — تلفون ٢٠٢٣

القدس روما في ١٠/١١/١٩٧٧

سيادة الامين العام لجامعة الدول العربية الدكتور محمود رياض المحترم
اصحاب المعالي وزراء خارجية الدول العربية المحترمين
تونس

يطيب لي، في اول اجتماع تعقدونه بعد ابعادي عن فلسطين الحبيبة وطني، ان اوجه الى معاليكم نداء حاراً نابعاً من فؤاد متألم، يعيش القضية العربية في ادق ساعاتها ومراحلها

اصحاب المعالي

يلتئم مؤتمركم الكريم، وامتنا تمر في مرحلة حرجة تاريخية، والعرب بانظارهم اليكم شاخصون، راجون في ان تخرجوا منه بمواقف موحدة، معدة للتنفيذ السريع، لا للذكرى والتاريخ...! ان التمزق الراهن، هو الذي سيعطي الاعداء ارجحية مؤقتة بتصفية قضايانا المصيرية المشتركة، حسبما يلائم العدو. وقد اشرفت على اليأس ا

انا الذي في ظلمات سجني، حملت آلام القدس وعذابات ابنائها، باسمهم اناشدكم الا تفرقوا، بل ان تقفوا وقفة واحدة. فوحدتنا هي الكفيلة فقط في تخفيف آلامنا تدريجياً، وتحقيق آمالنا بالعودة الى ارضنا السليبة في سيناء والجولان... الى فلسطيننا الحبيبة بلد المسيح وبلد المسجد الاقصى... الى وحدتنا لنثبت النصر في انتزاع حقوقنا، وفرض كرامتنا.

... وفيما انتم الى معالجة قضايا العربية منصرفون، يبرز امامكم ما شغل باستمرار ذهني وعيني في معتقلي: لبنان الغالي الممزق الجريح...! الا بربكم اوقفوا نزف الدم في جنوبه بقراراتكم الحاسمة الجيدة واعيدوا السلام الى ربوعه، للحد من هجرة ابنائه المتزايدة، كي لا يكون نعمة سائغة لمطامع العدو فيه الذي يتابع القتال هناك، خطر لامتداد النار مجدداً، لاسمح الله، الى المرابع اللبنانية الحبيبة باسرها.

كلي امل ان يلقى ندائي هذا وقعه في قلوبكم المفعمة بمحبة امتكم والغيورة على مصالح ابنائها. هو صادر من قلب لا يعتبر نفسه الا خادماً وابناً لكل من اوطاننا العربية الغالية.

بطريركية الروم الكاثوليك
بالقدس

ص.ب ٤١٣٠ — تلفون ٢٠٢٣

رقم..........

القدس..........

ثم أشكر أمتي الكريمة التي تمثلون، على ما حضنتني به من عطف وعناية منذ اعتقالي حتى الإفراج عني، مؤكداً لمعاليكم أن ما قمت به إنما رأي إملاء قلبي. حمد تعالى الذي أرشدني إلى الطريق التي سلكت.

ولئن أُبعدت عن أرضي وأبنائي وحرمت من سماء بلادي.. فإني في منفاي مع الوطن مقيم... لن أستريح، لن أستكين، لن يهدأ روعي إلا حين تدق أجراس العودة... إني لعائد مهما طال وقسى الزمان!

تفضلوا يا أصحاب المعالي بنقل عميق امتناني إلى كل من دولنا العربية الحبيبة، رئيساً، حكومة وشعباً، مؤكدين للجميع شكري الجزيل مع محبتي الصادقة واحترامي.
أبثكم جميعاً محبتي وتقديري. ووفقكم العلي في مؤتمركم القمة، وكلل جهودكم بالنجاح.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

المخلص

+ المطران ايلاريون كبوجي

رئيس أساقفة قيصرية فلسطين شرفاً
النائب البطريركي للروم الكاثوليك

باريس - ٩ - ١١ - ١٩٧٧

أخي الكريم سيادة المطران هيلاريون كابوتشي

في هذه الظلمة التي تلف القضية العربية العادلة من كل جانب، وفي هذا الزمن الذي يتعرض فيه أحرار العرب للإبادة والسجن والنفي والتشريد كان ثباتك الذي جعلك مشدداً للعزائم وباعثاً للأمل.

ومنها قبلة قبل الرحيل إلى فلسطين، أرجو أن تصل صحباً ذلك التراب عند العودة.

تحياتي وتقديري أخي الكريم

أكرم الحوراني

نص الرسالة الجوابية التي وجهها الى اكرم الحوراني من روما رداً على رسالته المرافقة .

بطريركية الروم الكاثوليك
بالقدس
ص.ب ٤١٣٠ — تلفون ٢٠٢٣

رقم ....
القدس ....

روما فى ١٩٧٧/١١/٢٠

حضرة الاخ اكرم الحوراني
المحترم

رسالتكم كان لها عميق الاثر فى نفسى ، لقد نذرت حياتى من اجل فلسطين والقضية العربية ، وسوف اظل ابذل من اجلهما الى آخر نسمة من عمرى .

ان عذابي وسجني عمقا ارتباطى بقضيتى ، إعيش حاليا فى المنفى لمَّا قلبي وروحي فهما مع شعبي المناضل فى فلسطين وفوق كل ارض عربية .

مع الاحرار والسجناء والمنفيين والمشردين ، انا واحد منهم ، يدى بيدهم ، ودمى ممتزج بدمائهم ، واننا على درب الحرية والنصر لسائرون رغم الظلام وقسوة الطغاة .

مع عميق تقديرى ومحبتي .

+ المطران كبوجي
مطران القدس في المنفى

نص الرسالة التي وجهها الى امير دولة الكويت صباح السالم الصباح .

بطريركية الروم الكاثوليك
بالقدس
ص.ب ٤١٣٠ — تلفون ٢٠٢٣

رقم..................

القدس في روما في ١٦/١١/١٩٧٧

سمو الامير الشيخ صباح سالم الصباح المعظم
دولة الكويت

يا صاحب السمو،

لكم اشكر لسموكم لفتتكم الكريمة، باصدار طابع بريدي، لمناسبة مرور ثلاث سنوات على اعتقالي. مع اني لا استحق هذا الاكرام اطلاقاً، لان ما قمت به، انما هو ديني. ضميري قد املاه علي. ولا شكر على واجب!

السجن الفدائي مفروض علي. هو عملي بمن اختصاصي. والسجن الفدائي عالم سبق ان عشته، فيه ترعرعت. لست عنه غريباً. لست عليه دخيلاً!

انا رجل دين. محبة الله ومحبة الاوطان تتشابه ديانتي. من يموت شهيداً كان ام مسيحياً، دفاعاً عن وطنه، ذوداً عن كرامة امته، في سبيل ربه لمبادئه. هو شهيد للعدل ولله الحق ادى الشهادة! اني عربي. قوميتي هي الاصل من مسيحيتي. مسيحيتي واحدة وعقيدتي، فالم اكن عربياً في الصميم، حتى النخاع، حتى الدم... ان الحزازة عروبتي اذاً، تنكرة وخيانة لديانتي! دروسي الفدائية، تلقنتها في مدرسة المسيح معلمي. هو الفادي! بذل المسيح نفسه حباً بالبشرية، حتى الموت. فدانا هو:

- للفخ عنواناً، اذ فتح لنا ابواب الفردوس السماوية
- قائداً للتحرير لكونه قد حررنا من عبودية الشرير
- المقاتل المثالي، في وسع ساحات النضال واسمى ميادينه، في محاربة الانسان للنزوات، للقوى الشر، كي يحيا طليقاً كريماً...

ان المسيح هو الفدائي الفلسطيني الاول... بالموت قد قهر الموت وقام ذلك الظلم والظلام، باعثاً النور والحياة... ليس الفدائي اذاً مخرباً كما يزعم اعداؤهم... انما الفدائي مخلص!

ان استقبلني ثالثاً، قد مسحتني ممثلاً شرعياً للشعب العادل، راعياً لفلسطين

بطريركية الروم الكاثوليك
بالقدس

رقم ....

ص.ب ٤١٣٠ — تلفون ٢٠٢٣ القدس ....

وأسأله... لذا الوطن السليب صليبي! كيف لا وقد تحول كل بيت في ديار المسيح وبلد الحرم الشريف الى جلجلة..!

نضالي اذاً يا سمو الامير كما لاحظتم، ان هو الا تجسيد لمسيحيتي وتجسيم لصوت ضميري. وما تعطفكم باصدار الطابع الا حافز لي لمتابعة المسيرة حتى النصر... واني لاعاهدكم امام الله وامتي، اني على دروب الشدة سأمضي حتى تدق اجراس العودة.

واني لانتهز هذه الفرصة، لاشيد بمواقفكم المشرفة حيال ما يعترض مسيرتنا العربية من مصاعب، مستطرداً الى الحق، بين بني شعوبنا وحكامنا، احتضانكم لقضيتنا المقدسة، وتضحياتكم الجمة في سبيلها، ودعمكم المعنوي والعسكري والمادي لها.

وختاماً اشكر لكم يا صاحب السمو جهودكم الطيبة، ابثكم محبتي واحترامي، داعياً لكم العمر المديد المفعم بالنعم والبركات، وان تحققوا ما اليه يصبو قلبكم الكبير من عزة لامتكم وفلاح وسعادة لشعبكم الكويتي الحبيب.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

المخلص
+ المطران ايلاريون كبوجي
مطران القدس في المنفى

نص الرســــالة التي وجهها الى الرئيس حافظ الاسد رئيس الجمهورية العربية السورية بعد اطلاق سراحه ونفيه الى روما .

بطريركية الروم الكاثوليك
بالقدس
ص.ب ٤١٣٠ — تلفون ٢٠٢٣

رقم ....

القدس بروما في ١٧/ ١١/ ١٩٧٧

فخامة الرئيس حافظ الاسد الجزيل الاحترام
الجمهورية العربية السورية

سيادة الرئيس

كلمتي المقتضبة ان هي إلا البرهان عن عرفاني لجميلكم للعاطفة الصادقة التي بها احطتموني أبان اعتقالي . كما انا شاكر للشعب السوري الحبيب تأييده وتضامنه معي . لقد غمرتموني جميعاً بمحبتكم . عطفكم عليّ كان تعزيتي الكبرى بعدي .

دوري الوطني الذي قمت به ، بدافع من ضميري ، صوناً لكرامة امتي العربية ، ودفاعاً عن مقدسات البلاد واماني الاحياء ، انما دفعت ثمنه لسنوات عصيبة . اني ابشر بفخري واعتزازي : هي التي علمتني العطاء والفداء . من تراث شرقي المقدس تلقنت المبادئ التي تصنع الرجال امثالكم .

ابثكم يا سيادة الرئيس محبتي واعتزازي مكرراً عميق شكري

دمتم متمتعين بالنعم والبركات ، لسنين مديدة حافلة بالانجازات ، مكللة بالعزة ، بالنصر ، بالعودة الى قدسنا الحبيبة مروراً بالجولان السليب ...

المخلص

+ المطران ايلاريون كبوجي

مطران القدس في المنفى

رسالة محمود رياض الامين العام لجامعة الدول العربيـــة الى المطران كبوشي •

مكتب روما

الرقم ———
المرفقات ———

روما في ٨ / ١١ سنة ١٩٧٧

سيادة المطـران هيلاريون كابوتشـي

أحيى صمودكم الرائع الذى تعتز أمتنا العربية به ، وقد سجلتم لتاريخ الكفاح من أجل السلام والعدالة ملحمة مشرفة من النضال والشجاعة ، وستظل توسم أمام أبناء هذه الأمة أروع نموذج لنضال الانسان فى سبيل الوطن •

وبمناسبة تخلصكم من الاعتقال ومن أنواء الارهاب التى تحملتوها بشجاعة المؤمن بربه ووطنه أقدم لكم تحياتى الشخصية وتمنياتى بالصحة والتوفيق •

محمود رياض
الآمين العام لجامعة الدول العربية

رسالته الى محمود رياض الامين العام لجامعة الدول العربية ردا على رسالته .

بطريركية الروم الكاثوليك
بالقدس

ص.ب ٤١٣٠ — تلفون ٢٠٢٣

رقم..........

القدس..........

روما فـي ١٩٧٧/١١/١٨

سيادة الاخ محمود رياض المحترم
الامين العام لجامعة الدول العربية

القاهرة

من اعماق قلبي اشكر لكم تحيتكم بعد اطلاق سراحي من سجن الاحتلال الاسرائيلي ، ان صمودي داخل السجن وخارجه انما استمده من امتي العربية وروح شعبي الفلسطيني المكافح في سبيل حريته وأرضه السليبة .

هذه الملحمة النضالية الفذة التي يسطرها الان شعبنا في وجه الغزاة نزوعا نحو حريته ومستقبله العزيز ، اكبر من الافراد وتضحياتهم ، فما قمت به في سبيل وطني وامتي ليس اكثر من واجبي الملتزم به امام الله وامام شعبي المعذب .

لقد انتقلت من السجن الى المنفى ، وما دمت بعيدا عن شعبي وأرضي الفلسطينية العربية فان تحريري الكامل لن يتحقق ، انني ارجو وآمل ان اعود الى فلسطين او اي قطر عربي لاتابع نضالي وكفاحي مع اخوتي وابناء شعبي الى ان يتحقق النصر لفلسطين والامة العربية .

ولسيادتكم ايها الاخ بالغ تقديري واحترامي .

+ ايلاريون كبوجي
مطران القدس في المنفى

رسالته الى وليد جنبلاط رئيس الحزب التقدمي الاشتراكي ردا على رسالته .

PATRIARCAT
GREC CATHOLIQUE
JERUSALEM
B. P. 14130 - TEL. 82023

بطريركية الروم الكاثوليك
بالقدس
ص.ب ١٤١٣٠ — تلفون ٨٢٠٢٣

روما فى ١٩٧٧/١١/٢٠

حضرة الاخ الكريم وليد جنبلاط المحترم
رئيس الحزب التقدمي الاشتراكي — بيروت

برقيتكم كانت بلسما لجراحي وعذاباتي . عندما قدمت حياتي من اجل قضيتي ومن اجل شعب فلسطين المشرد والمعذب ، كنت اسير على خطى معلمي الفادي الذي علم البشرية الفداء اذ افتداها بدمه . كذلك كنت اسير على خطى كل شهداء الامة العربية الذين ضحوا وبذلوا الدم الغالي .

انّ ارتباطي بفلسطين والعروبة هو ارتباط الاب والام بالاولاد ، ارتباط الدم بالدم ومن اجل فلسطين والعروبة والقدس الغالية ، سأظل اضحي حتى آخر نقطة من دمي ، هكذا علمني يسوع الفادي وعلمني دم الشهداء الذين خطوا بدمائهم طريق النصر والحرية .

لكم ايها الاخ الكريم شكري ومحبتي .

+ المطران كبوجي
مطران القدس في المنفى

منظمة حزب البعث العربي الاشتراكي
القيادة القطرية

امة عربية واحدة ذات رسالة خالدة

المكتب :
الرقم :
التاريخ : ٨/١١/١٩٧٧

سيادة المطران المناضل ايلاريون كبوجي – روما – حاضرة الفاتيكان

طريق الالام والسجن التي عبرتموها كانت طريق السيد المسيح الذي انقذ البشرية من آثامها وخطى بها خطوات النور والايمان نحو المجتمع الافضل .

أيها المناضل البطل ...

نفس الايدي التي اقتادت بالامس السيد المسيح الى صلبه حاولت صلبك اليوم على ذات الصليب ولنفس الاسباب وصمودك واصرارك على حقوق امتك وشعبك اسقط هؤلاء القتلة المجرمين في اثم آبائهم الذين صلبوا المخلص من قبلك .

فلسطين العربية والبشرية المناضلة ستذكرك دائما لانك اصبحت رمزا لعروبة فلسطين واما المناضلين الشرفاء من اجل الحق والعدالة والارض .

سيادة المطران البطل ... .

ان القيادة القطرية لمنظمة حزب البعث العربي الاشتراكي في لبنان اذ تهنئ سيادتكم بسلامة الخروج من سجن العدو الصهيوني تؤكد لكم باسم جماهير شعبنا العربي في لبنان ان مسيرة تحرير الارض والقدس التي اعلنتم عنها ستستمر حتى يتحقق لهذه الامة كامل اهدافها في تحرير كافة التراب المقدس حتى تعود ارض المسيح حرة عربية .

القيادة القطرية لمنظمة حزب البعث العربي
الاشتراكي في لبنـــــــان

بطريركية الروم الكاثوليك
بالقدس
ص.ب ١٤١٣٠ — تلفون ٨٢٠٢٣

PATRIARCAT
GREC CATHOLIQUE
JERUSALEM
B. P. 14130 - TEL. 82023

روما في ١٩٧٧/١١/١٩

حضرة الاخ عاصم قانصوه المحترم
القيادة القطرية لحزب البعث العربي الاشتراكي — لبنان .

كان لرسالتكم ابلغ الاثر في نفسي . وانا اعيش الآن في المنفى اتذكر لحظات السجن وما قاسيت من عذاب خلال السنوات الثلاث ، في ظلام السجن كان الله معي ينير لي الطريق ، من الله وشعبي المكافح كنت استمد شجاعتي وقدرتي على مواجهة العذاب والالم ، كان معلمي هو المسيح الفادي الاول ، هو كان قدوتي .

ان آلامي وما قاسيت ليس الا جزءا يسيرا مما يقاسيه شعبي الفلسطيني وامتي العربية وهي تصارع الطغاة والمحتلين من اجل حريتها ووحدتها .

لقد حز في نفسي ماحدث للبنان العزيز ، وفي اعماق سجني كان لبنان الجريح في قلبي لقد دعوت الى الله وصليت ان يعيد المحبة الى وطن المحبة ، وان يعيد السلام الى ارض السلام .

وانا اتوجه اليكم ايها الاخوة بهذه الرسالة من منفاي ، يخالجني حلم العودة الى قدسي الحبيبة او اية بقعة عربية لاتابع من هناك رسالتي التي بداتها مع إخواني العرب وشعبي الفلسطيني المناضل لنتم معا مسيرة النضال والتحرير والعودة .

لكم شكري وتقديري ،

+ المطران [illegible]
مطران القدس في المنفى

اصداء

الاتهام والمحاكمة في صحف العدو

« المطـران الفدائي »

كتبت صحيفة « هعولام هازيه » بتـــاريخ ٧٤/٨/٢١ مقالا بعنوان « المطران الفدائي » تدين فيه اساليب الاحتلال اللاديموقراطية والمعاديـــة للاقليات الدينية داخل اسرائيل :

« ثارت مشكلة الكاثوليك في اسرائيل خلال السنوات الاخيرة في اعقاب تجديد النضال الجماهيري من اجل اعادة لاجئي قريتي « أقرت وبرعم » اللتين تقعان على الحدود اللبنانية ، والذين طردوا من قراهم بخديعة بعد حرب الاستقلال . وقد اخذ هذا النضال طابعا دينيا عندما ترأسه المطران « ريا »، رئيس الكنيسة الكاثوليكية في حيفا والجليل .

ونتيجة لفشل نشاط ريا الشرعي ، فقد انخفض نفوذه . واتهم من قبل خصومه في الكنيسة الكاثوليكية ، التي مركزها دمشـــق ، بتأييده لاسرائيل ، ونتيجة لذلك عينت الكنيسة المطران كبوشي مسؤولا ديليا عن ابناء الطائفة الكاثوليكية في اسرائيل ، واعطته قسما من صلاحيات ريا .

وكان هذا طبيعيا من قبل الزعيم الروحي الجـــديد لابناء الطائفة الكاثوليكية ، ان يتخلى عن اسلوب النضال الشرعي العلني من اجل ابناء طائفته الذي لم يعط ثمارا ، وان يتجه الى النشاط السري المعادي .

وفي الحقيقة لا يوجد اي اثبات بأن قضية « أقرت وبرعم » هي التي

قادت المطران كبوشي الى العمل مع « فتح » . وحسب ادعاء سلطات الامن ، فقد بدأ نشاطه « التخريبي » قبل ثلاث سنوات ، اي قبل ان تتحول قضية « أقرت وبرعم » مرة اخرى الى موضوع مزعج على جدول المجتمع الاسرائيلي .

ولكن اذا بحث في اسرائيل عن المذنب في ذلك : في ان يتحول قسيس اكبر طائفة دينية في اسرائيل الى مطران فدائي ، فان باستطاعة دولة اسرائيل ان تجد قسما كبيرا من الذنب داخلها .

فقد أثبتت دولة اسرائيل لابناء الطـــائفة الكاثوليكية بأن اسلوب النضال الشرعي من اجل حقوقهم ليس مربحا وليس مقنعا . وبدلا من تحويل العرب المسيحيين الى جسر بين اسرائيل والدول العربية ، فقد قضت اسرائيل على وضعهم الخاص ، وحولتهم الى مواطنين من درجة دنيا ، ودفعتهم بأيديها الى اذرع اعداء اسرائيل » .

« ثالث رجل دين تعتقله اسرائيل »

كتب (يوسف تسوريال) في صحيفة معاريف بتاريخ ٧٤/٨/١٩ :

« جرت خلال اعتقال المطران كبوشي مناقشـــات عنيفة بين سلطات عسكرية وسياسية حول الاساليب التي يجب انتهاجها تجاه الرجل دون المس بأمن الدولة • وتم الحديث عن الطرد من البلاد ، ولكن هذا الاقتراح رفض ، وادعت جهات الامن بأنه يجب مواصلة التحقيق حتى النهاية •

ويعتبر المطران كبوشي رجل الدين الثالث الذي يعتقل بتهمة القيـام بمخالفات أمنية طيلة سنوات قيام الدولة • وهو اخطر هؤلاء الثلاثة وذلك بسبب مقامه العالي وبسبب الاسلوب الذي عمل به مدة طويلة كما يبدو •

الحادث الاول وقع قبل حوالي ١٢ سنة : فقد لاحظ ضابط الجمـارك في بوابة (مندلبوم) انتفاخا غير عادي في ملابس رجل الدين القبـطي (يواكيم الانطوني) فقام رجال الامن بتفتيشه • واتضح ان هذا القسيس الذي يدخل ويخرج بحرية من بوابة (مندلبوم) يقوم بمهمات خاصة لصالح الاردن •

الحادث الثاني وقع في ابريل ـ نيسان ١٩٦٩ : قسيس انجليكاني من رام الله (ايليا خوري) تم اعتقاله من قبل قوات الامن بتهمة التعاون مع احدى المنظمات « التخريبية » •

« لائحة الاتهام ضد كبوشي »

قالت صحيفة (دافار) الاسرائيلية بتاريخ ٧٤/٩/٤ تحت عنوان « لائحة الاتهام ضد كبوشي » :

قدم أمس مدعي عام الدولة (جفرائيل باخ) الى المحكمة المركزية في القدس لائحة اتهام ضد المطران ايلاريون كبوشي ، المتهم بحمل السلاح ، ومساعدة منظمة معادية .

وتشتمل لائحة الاتهام على ثلاثة بنود رئيسية وفيها تفصيل للاسلحة والمواد التفجيرية التي عثر عليها خلال التفتيش بسيارته الثامن من اغسطس (آب) من هذه السنة .

وتذكر لائحة الاتهام / ١٩ / شاهدا غالبيتهم من رجال الشرطة والمخابرات، وكذلك ستة مواطنين من القدس الشرقية .

ويتهم الادعاء المطران كبوشي بموجب ثلاثة بنود اتهام :

١ ـ اجراء اتصال مع عميل اجنبي ـ حسب البند ٣٤ (أ) من قانون العقوبات الصادر عام ١٩٥٧ .

٢ ـ حمل السلاح غير القانوني والاحتفاظ به ـ حسب البند ٦٦ (أ) بناء على القانون الجنائي ١٩٣٦ .

٣ ـ القيام بخدمة لصالح « تنظيم غير شرعي » ـ القانون ٨٥ (ج) من انظمة الطوارىء لعام ١٩٤٥ .

« التحقيق مع كبوشي حول علاقته بالعمليات في الجليل والقطاع »

كتب محرر جريدة دافار الاسرائيلية (داني روبلشتاين) بتاريخ ٧٤/٨/٢٠ مقالا اتهاميا لا يستند الى اي دليل ملموس حول علاقة المطران كبوشي بعمليات عسكرية حدثت في الجليل وقطاع غزة ، جاء فيه :

« تقوم اجهزة الامن خلال التحقيق مع المطران ايلاريون كبوشي بفحص احتمال تزويد المطران كبوشي « المخربين » من عرب اسرائيل وقطاع غزة بالسلاح والمواد التفجيرية منذ سنوات قليلة .

وفي عام ١٩٧٠ طلب عضو الكنيست (آمنون لين) ومستشار رئيس الحكومة للشؤون العربية (شموئيل توليدانو) من مكسيموس الخامس حكيم رئيس الطائفة الكاثوليكية ، عزل كبوشي بسبب نشاطاته وآرائه التي اخذت طابعا متطرفا و « انحرفت » عن قضايا الكنيسة .

وقد تم اللقاء بين لين وتوليدانو وبين مكسيموس الخامس في روما ، ولكن تم تكريس كبوشي لشؤون الكنيسة الكاثوليكية في اسرائيل . وهناك احتمال ان تتكشف خلال التحقيق التي تجريه قوات الامن ، معطيات كثيرة حول الاسلحة والمواد التخريبية التي تم ادخالها خلال السنوات الاخيرة الى اسرائيل ، وهناك شكوك بأن كبوشي قام بنقل الاسلحة والمواد التخريبية الى « المخربين » من الضفة الغربية فقط . ولكنها تحقق بالذات بعدد من النقاط الغامضة فيما يتعلق بعمليات التخريب التي حدثت في اسرائيل وخاصة في الجليل وقطاع غزة .

ويشك رجال الامن بأن كبوشي كان مرتبطا بمخالفات أمنية منذ ١٩٧٠ وقام بنقل اموال كثيرة ومواد تخريبية بكميات كبيرة الى البلاد .

« محاكمة كبوشي »

كتبت يديعوت احرونوت بتاريخ ٧٤/٩/٢٢ بقلم (جباي بارون) عن محاكمة كبوشي بعنوان (محاكمة كبوشي) :

« انا سعيد بما فعلت . ان هدفي هو احلال السلام في المنطقة ونحن جميعا ابناء لأب واحد . ان ما قمت به جاء ليسلط الاضواء على مشكلات المنطقة وايقاظ المشكلة من رقادها . هناك مثل عربي يقول : « يجب اقتلاع الصخور من اساسها بالمحراث ، والويل اذا ما انكسر المحراث » .

هذا ما قاله المطران كبوشي لدى البدء بمحاكمته امام المحكمة المركزية في القدس يوم الجمعة .

ان الخطاب المرتجل الذي القاه في فترة الاستراحة امام المقربين من اصدقائه وامام الصحفيين ، قد تلاءم كثيرا مع الخط العام لمحامي الدفاع ، الذي كثف منذ ساعات الصباح ، مجهودا كبيرا لتحويل محاكمة رجل الدين الكاثوليكي الى محاكمة سياسية .

وعندما وصل الى المحكمة تحت الحراسة المشددة ، ترك رجل الدين وراءه عشرات الاشخاص الذين يهتفون له ويصفقون . لكنه وجد الكثير من المخلصين له داخل القاعة من الذين وقفوا وصافحوه وهنؤوه .

لقد فعل المطران (أشقر) الذي حل محله بعد اعتقاله اكثر من ذلك ، حيث وقف على قدميه ورسم بأصابعه عاليا علامة النصر « V » .

« كبوشي يصرخ في وجه النيابة العامة »

تحت هذا العنوان كتبت جريدة (دافار) بتاريخ ٧٤/١٠/٢٤ مقالا حول ثورة كبوشي الحادة ضد النيابة العامة في المحكمة · حيث اتهـم المطران الاسرائيليين بأنهم لصوص وقتلة واتهم المحكمة بأنها محكمة ارهابية · جـاء فيه :

« كانت ثورة كبوشي الحادة محور نقاش المحكمة الاقليمية في القدس كما سببت اختصار النقاش وتأجيل استمرار المحاكمة الى الغد ·

حدث ذلك عندما طلب مدعي عام الدولة (عفرائيل باخ) تقديم مفكرة أمسكها ضابط الامن التابع لجهاز السجون مع كبوشي ·

وكرد على ذلك خرج كبوشي عن طوره وانفـــجر صارخا : « هذا جو ارهابي · أنتم لصوص وقتلة ، بأي حق تأخذون مفكرة شخصية وتدخلونها الى المحكمة · انا ارفض الاستمرار في نقاش المحكمة · لست مستعدا للظهور مرة اخرى في هذه القاعة · ليحكموا وليفعلوا ما يريدون في غيابي » · ولم تنجح محاولات القضاة والمحامين لتهدئة الرجل حتى أنه صرخ في وجه محاميه (عزيز شحادة) : انت معزول · لا اريد ان تدافع عني بعد الان ·

في هذه المرحلة اقترحت رئيسة المحكمة (مريم بن بورات) التوقف عن متابعة المحاكمة ، وطلبت من محامي المطران تهدئته ·

بعد الهدوء الذي حل محل العاصفة ، عارض المحامي شحادة ان تقدم النيابة المفكرة · وقال المحامي ان ما يجري الحديث عنه هو وثائق شخصية كتبها كبوشي الى اصدقائه الكهنة الذين اتوا لاقناعه بالكف عن اضراب الطعام الذي ما يزال عليه حتى الان · وقال شحادة : « اعتقد المطران كبوشي ان الوثائق ستبقى سرية ، لكنها كما يبدو وصلت الى يد السلطات · على اية حال ان تقديم المفكرة ستؤثر بشكل خطير على وضعه النفسي ، وانا اشعر انه متوتر ولن يستطيع اليوم الوقوف امام المحكمة · لذا اطلب من اجل العدل ان توافق المحكمة على التأجيل الى يوم الجمعة ، وآمل الا يتغير هذا الامر » ·

«مجموع الاحكام الصادرة ضد كبوشي /٥٩/ سنة سجنا»

جاء في صحيفة (معاريف) الاسرائيلية بتاريخ ٧٤/١٢/١٠ حول عقوبة المطران كبوشي :

« بلغ جميع الاحكام الصادرة بحق كبوشي /٥٩/ سنة حسب التفصيل الاتي : الاتصال ثلاث مرات بعميل اجنبي · وقد حكم عليه بالسجن /١٢/ عاما على كل من الاتصال الاول والثالث ، والسجن خمس سنوات على الاتصال الثـــاني ·

وبعد موافقة المدعي العام على دمج بندي الاتهام الثاني والثالث ، حكمت المحكمة عليه بالسجن عشر سنوات عن كل مرة نقـل فيها اسلحة ومتفجرات الى اسرائيل ، وقد بلغ مجموع هذه الاحكام /٣٠/ سنة ·

لكن القضاة اعتبروا الاحكام متماسة ، وهكذا حكم عليه بالعقوبة القصوى التي فرضت على احد بنود الاتهام وهي اثنتا عشرة سنة ·

وكان المدعي العام للدولة (جبرائيل باخ) قد اقترح ان تكون العقوبة القصوى التي يراها بالنسبة الى كل بند من بنود الاتهام هي /٢٥/ سنة ، واشار المدعي العام بأن التخطيط والتنفيذ المنهجي للجنايات يشير الى ان كبوشي كان حلقة مهمة في شبكة عملاء معادية ، وان كمية السلاح التي نقلها المتهم كبيرة ، ولذلك فمن واجب النيابة ان توصي بفرض عقوبات قصوى » ·

« من كلمة محامي الدفاع »

قالت صحيفة دافار بتاريخ ١٠/١٢/٧٤ :

« ان المحامي عزيز شحادة محامي المطران ايلاريون كبوشي ، حاول اضفاء طابع سياسي قومي على المحاكمة · فقد ذكر المحامي بقضايا متشابهة مثل حادث فندق الملك داؤود ، وقضية دير ياسين وقبية وكفر قاسم ، قائلا بأن احداثا مشابهة قام بها اليهود ايضا ضد العرب · لذا من اجل السلام بين شعبينا ومن اجل مستقبل ابنائنا اطلب ان يكون الحكم مع وقف التنفيذ لكي يستطيع موكلي العودة الى عبادة ربه ودينه · وقال المحامي : « ان التاريخ مليء بمحاكمات اشخاص اعتبروا في البداية ارهابيين ، لكن بعد ذلك اعترف بهم كمحررين من قبل غالبية امم العالم » ·

وقال المحامي عزيز شحادة في دفاعه عن كبوشي : « ان السلطـــات الاسرائيلية فرضت على المطران كبوشي توقيع شهادته تحت ضغط مزدوج · وهذا الضغط يتمثل في الوعد بالافراج الفوري عن المطران وتهديده اذا رفض التوقيع على شهادته » ·

وقال المحامي : « ان هذا الضغط يجعل الشهادة التي أخذت من المطران باطلـة » ·

« كبوشي يضرب عن الطعام في السجن »

كتب الصحفي الاسرائيلي (داني روبنشتاين) في صحيفة دافار في ٧٤/١٢/١، حول اضراب المطران كبوشي عن الطعام :

« اكدت مصلحة السجون أمس الاشاعة المنتشرة في القدس بأن المطران ايلاريون كبوشي مضرب عن الطعام منذ يوم الجمعة في سجن كفاريونا .

اضرب كبوشي المحكوم باثني عشر عاما بحجة انه لا يحق للقضاء الاسرائيلي ارساله الى السجن .

في تلك الاثناء نشرت أمس زعامة الطائفة الكاثوليكية (طائفة كبوشي) بيانا يندد بشدة باعتقال رئيسها السابق ، وذكر البيان : ان حادثا خطيرا كهذا لا سابقة له ولم يحدث لشخصية دينية مرموقة في مقام المطران كبوشي » .

« المطران كبوشي : أنا سجين عذاب المحتلين وضحية قوة الحكام »

قالت جريدة معاريف بتاريخ ٧٤/١٢/١٠ عن كلمة كبوشي في المحكمة :

« عندما جاء دور كبوشي ليلقي كلمته ، قام يخاطب المحكمة باللغة العربية ممسكا بقوة بصولجانه الفضي ، اغمض عينيه وتوجه الى المسيح لكي تسمع المحكمة بواسطته ما يقول : « فمن على قمة جبل الزيتون نظرت الى القدس وقلت سيأتي يوم تحاصرين فيه من جميع الجهات وسيدمرونك ويدمرون اولادك . وفي هذه الايام اذا نظرت من السماء يا سيدي فستجد ارضك كما وصفتها عندما بكيت عليها وستجدني صورة حقيقية لابناء ارضك وستبكي من جديد وسنبكي سويا . هاأنذا سجين عذاب المحتلين وضحية قوة الحكام . انا مثل جميع بني الانسان . وكلنا زائلون ونقف على جسر العبور الى الابـدية .

يا سيدي ويا معلمي يسوع ، أنت المحبة وانت نور العالم وهم رمز الظـلام . يا معلم العالم ومصدر النور سنخطو في اعقابك رغم العـذاب والالام » .

« أطلقوا سراحه حتى لا يتحول الى قديس »

جاء في صحيفة دافار الاسرائيلية بتاريخ ٧٤/١٢/١٠ :

« لا معنى للاحتفاظ بالمطران كبوشي في سجن اسرائيلي لمدة ١٢ سنة · لانه كسجين يحتمل ان يصبح قديسا معذبا ، اضافة الى احتمال ان يصبح هدفا من اهداف الابتزاز من قبل منظمات « التخريب » التي سنتوقع اثارة معينة لاعمالها لكون كبوشي رجل دين ، ومحاولات الفترة الاخيرة تشهد على ذلك · ولكن اسبابا اخرى ذات طابع سياسي تقف الى جانب انهاء هذه القضية · ان احتمال استغلال كبوشي لحريته في الدعاية المعادية لاسرائيل لا يزيد ولا ينقص من امكانية انهاء قضيته » ·

الصور



صورتان للمطران كبوشي قبل وبعد الاعتقال والسجن ٠



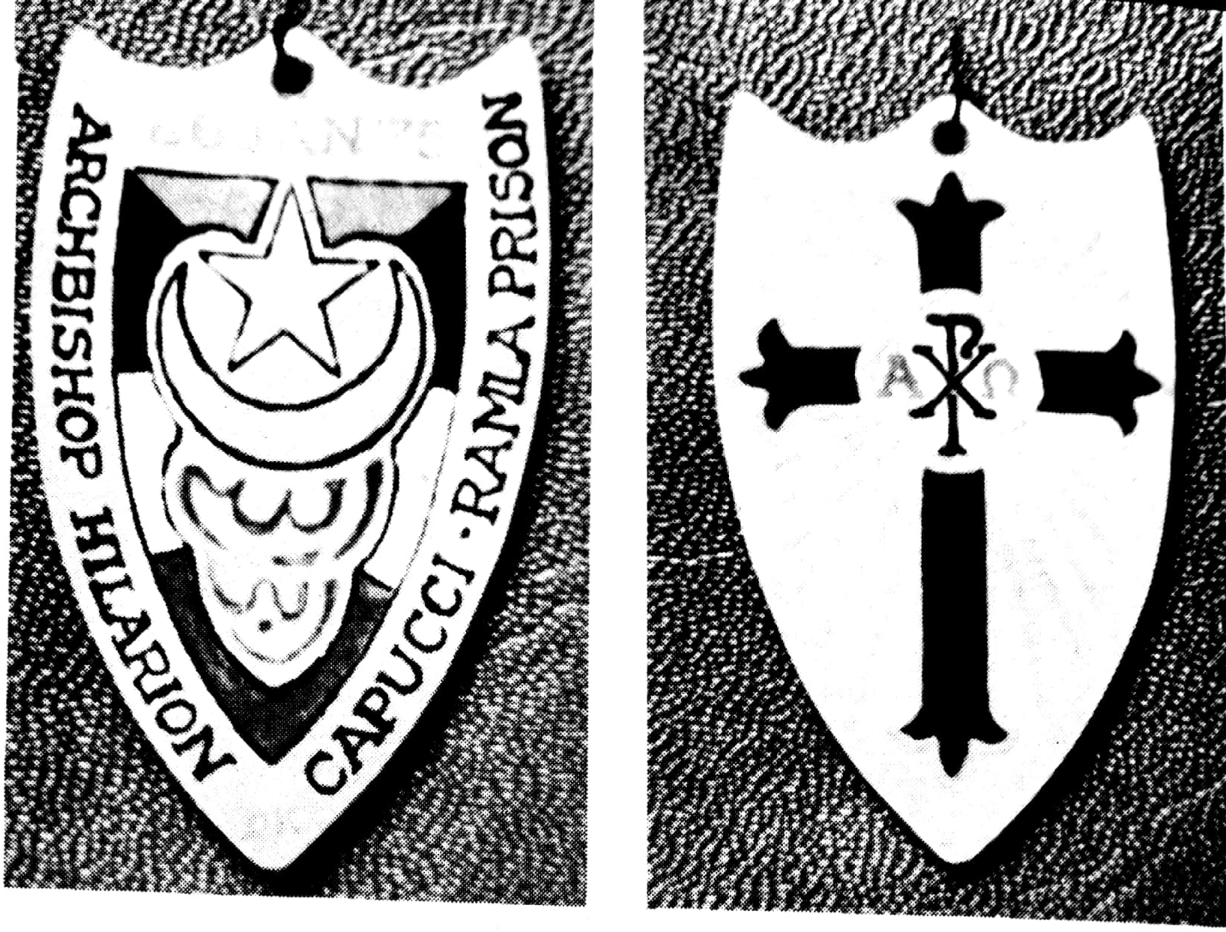


كبوشي مخفورا بين الحرس الاسرائيلي ٠



كبوشي محاطا بالحراس في طريقه الى المحاكمة .





الميداليتان اللتان نقشهما في السجن على خشب الزيتون

يرفع اشارة النصر وهو في طريقه من سجن بيت شيمش الى سجن كفريونا



طالبوا بالحرية للمطران كابوتشي

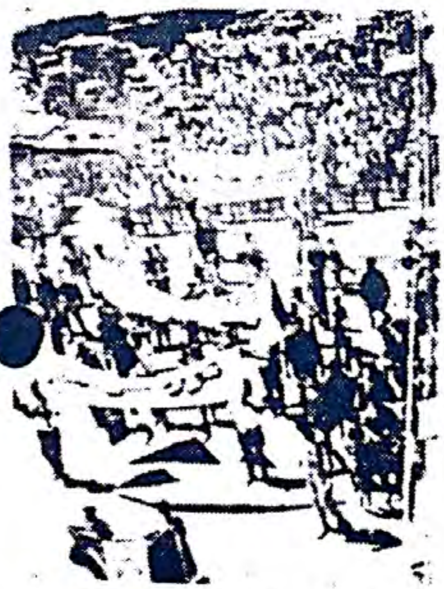
ونحن طالبنا [illegible] المطران هيلاريون كابوتشي رئيس الطائفة العربية المسيحية في القدس المحتلة
لما اقدمت سلطات الاحتلال الصهيوني
على ابعاده لأنه مناضل فلسطيني [illegible]
ضد الظلم والارهاب الصهيوني الذي يتعرض
له شعبنا الفلسطيني ولأنه يدافع عن قضية
وطنه فلسطين

الحرية للاسقف كابوتشي

ولنساهم جميعا كفاح الشعب الفلسطيني
في سبيل تحرير وطنه السليب



Liberté pour Mgr Capucci



Liberté pour Monseigneur CAPUCCI, archevêque de la Communauté arabe chrétienne de Jérusalem, Résistant Palestinien, emprisonné dans sa ville par les forces d'occupation sionistes.

- Il a lutté contre l'injustice et la terreur infligée à son peuple
- Il participe au combat de libération de la Palestine

« Il a peut-être accompli des actes
« que d'autres évêques n'auraient
« pas eu le courage d'accomplir. »

(Patriarche Maximos V Hakim)

طالبوا بالحرية للشعب الفلسطيني ودعمه في العودة وتقرير مصيره

Soutenons la lutte de libération du Peuple Palestinien

الملصق الذي وزع داخل الارض المحتلة ابان حملة المطالبة بالافراج عن كبوشي ،

בעזהי"ת בינ"ו עמי"ו עש"ו

הציונים המטורפים

טירוף דעתם של הציונים הכופרים משתלטי המדינה הגיעה לשיאה, עוד טרם התאוששו ממכת החרב וההרג שעשה בהם העם הערבי-המוסלמי, וערם הופכחו מהשפלות שהושפלו ע"י מעצמות העולם, המערבי והמזרחי, בהציגם לעין כל את הציונות ומדינתם, לחלשים ומטורפים בתוך שאון גלים סוערים מקצה אל קצה העולם,

עמדו מטורפים וחסרי אחריות אלו להשניא עליהם את העם הנוצרי האדיר,

ע"י עלילה על איש כמורה גבוה, שחתר נגד השלטון הציוני, והושיבוהו במאסר על 15 יום לצרכי חקירה.

אין נפקא מינה אם יש קורטוב של אמת בעלילה זו אם לא, אבל זה ברור וידוע לכל שאיש כמורה זה הוא מתנגד גדול לציונים, ומתנגד גלוי לקיום מדינה - נאורה שכזו של הציונים. ולא אחת גילה את דעתו לעסקנים מהיהדות החרדית

"שירושלים צריכה שתופקע מכח השתלטותם של הציונים מפני חילול קדושת העיר ע"י תועבות הציונים והנוער המושחת שלהם, ושלטון העיר צריך לעבור תחת חסות האו"מ ונציגי הדתות."

לכן מובן מדוע שמו הציונים את עיניהם באיש כמורה זה לענותו ולהשימו במאסר. ויהגאשו ויגזו כל מוסדות הכמורה הגבוהה על תעלול מחפיר זה באיש הכמורה שלהם, וקריאות שנאה ואנטישמיות נשמע בעולם על היהודים.

זה דרכם כסל למו של הציונים–הכופרים–המטורפים להפיץ שנאה ואנטישמיות בין אומות העולם עליהם

ובכך לערער את כל הישוב היהודי בעולם הנפוצים בין האומות, ואח"כ לקרוא אותם לגבול מדינתם הבוערת אש מארבע רוחותי-ה.

מחובתינו להבהיר לכל באי עולם שהמדינה הציונית שהוקמה לפני 26 שנים הוא נגד דת תורתינו הקדושה. עם ישראל הושבע בג' שבועות שלא ימרדו באומות וכו', וכל פעולה איזו שהיא שיש בה צריכה ותועלת לקיום המדינה, זו פעולה נגד התורה, והשם "ישראל" שכינו הציונים את מדינתם, זיוף גמור הוא, כי אין לציונים שום שייכות וזיקה לעם ישראל, והציונים אינם באי - כוחם של עם ישראל המקורי האמיתי.

ואנו מביעים הזדעזעות בשם עם ישראל המפוזר ומפורד בין העמים על תעלול מחפיר שעשים הציונים באיש הכמורה.

והקב"ה יפרוש סוכת שלומו על עם ישראל בכל העולם כולו, ויצילנו מכופרים מטורפים אלו שעמדו לסכן את שלומה וקיומה של עם ישראל.

נטורי קרתא
של היהדות החרדית בארה"ק
ההולכים בדרך הרה"צ רבי עמרם גרש"י בלויא זצ"ל

אלול תשל"ד

نسخة باللغة العبرية عن المنشور الذي وزع داخل الارض المحتلة لاطلاق سراح كبوشي .

كبوشي في مطار روما مع البطريرك مكسيموس حكيم بعد الافراج عنه •



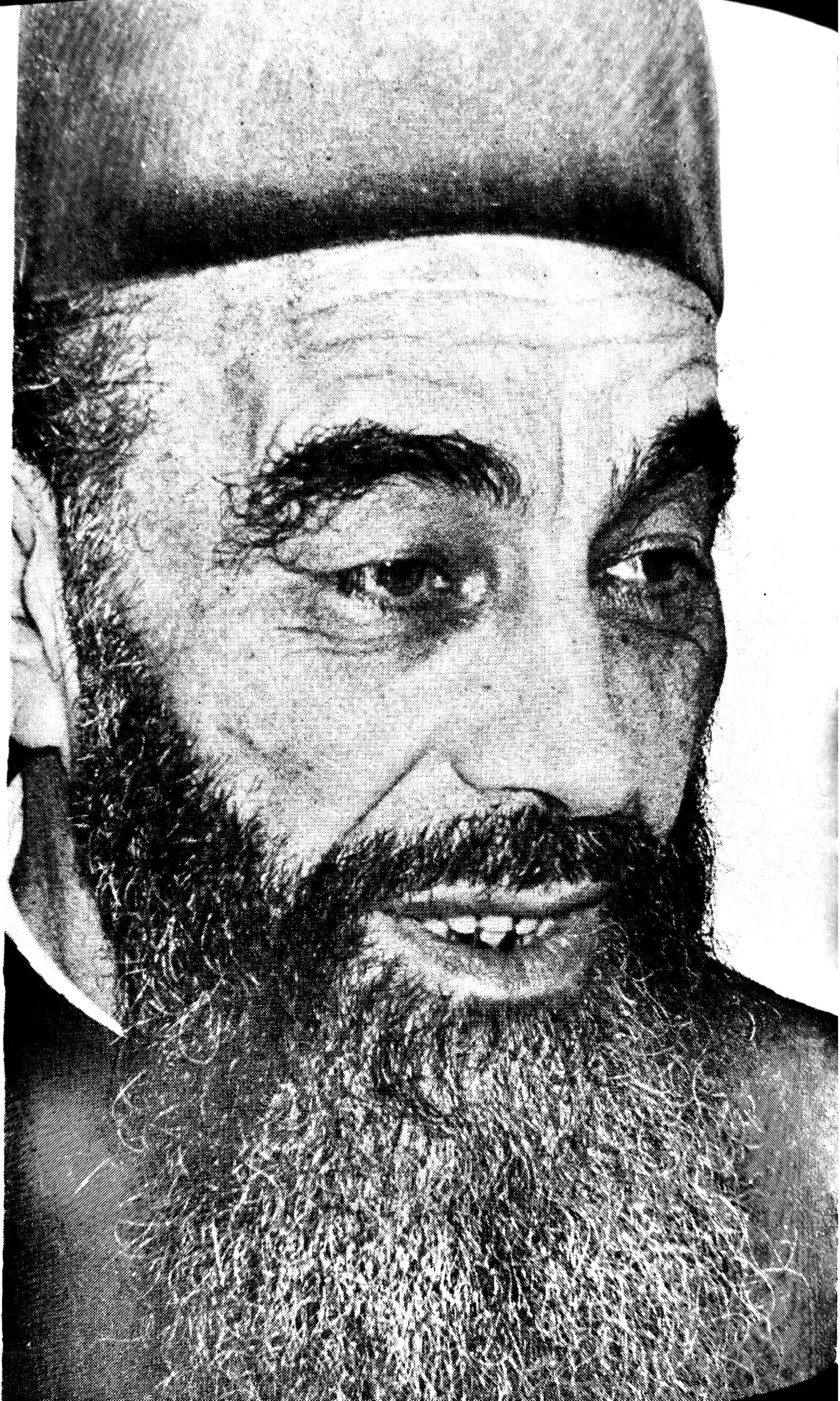


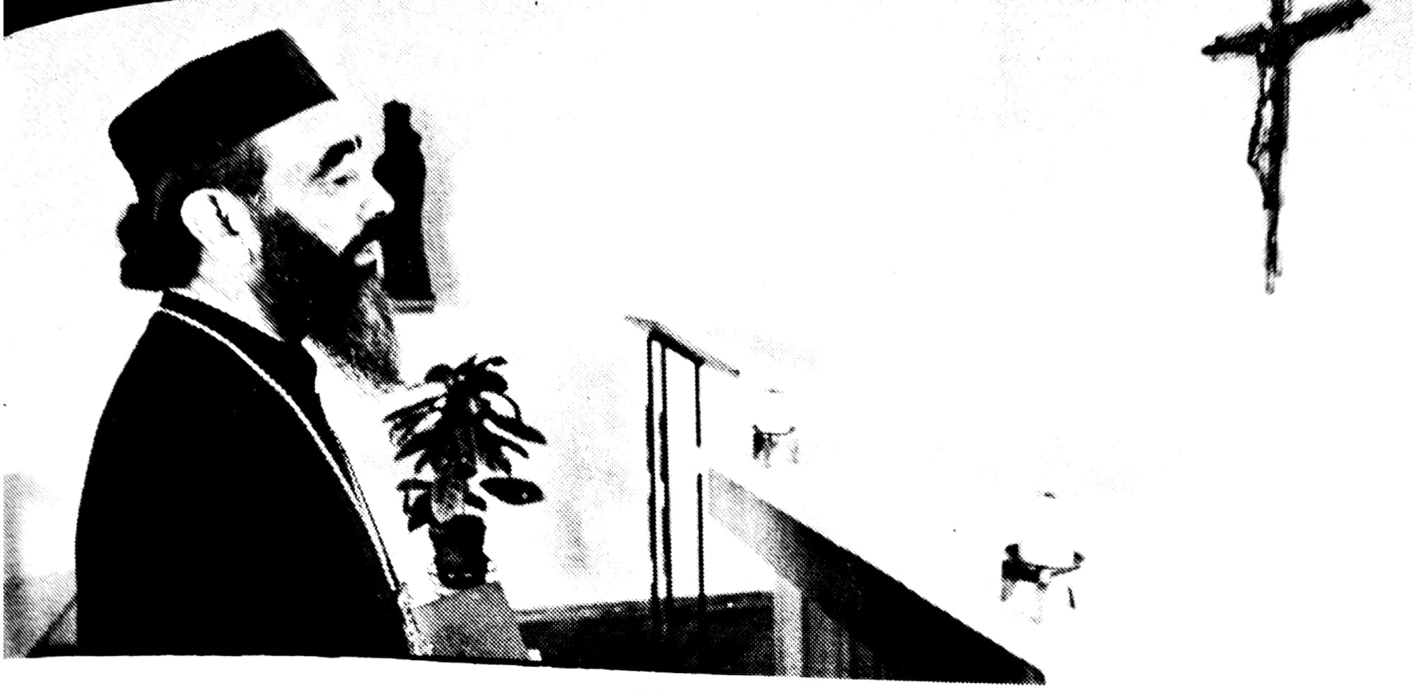
كبوشي يمارس حياته اليومية في منفاه بروما ٠





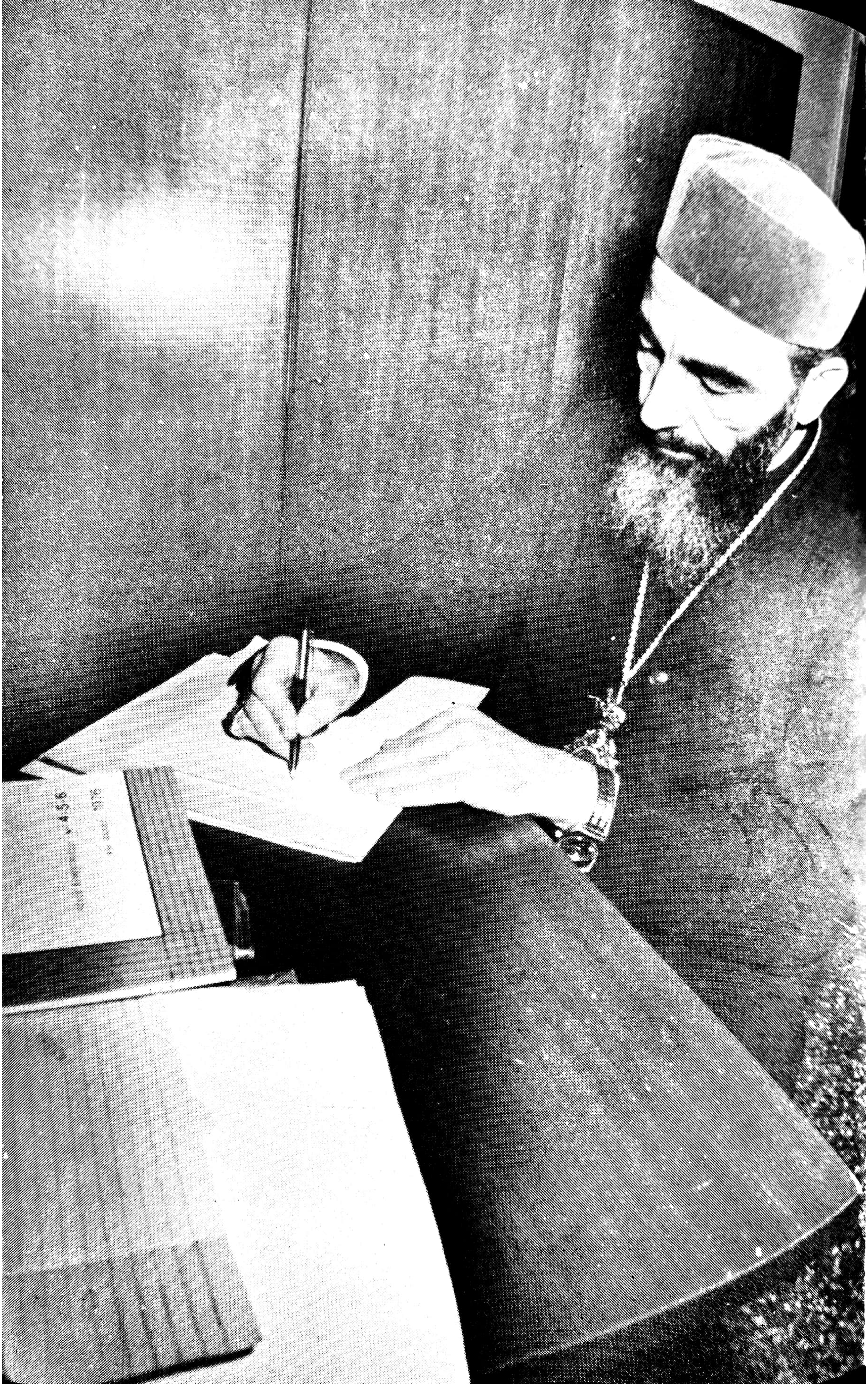












الفهرس

هذه الوثيقة ٥

مدخل ٩

اللقاء ١٥

الانعطاف الديني ١٧

صدمة الهزيمة ٣٧

المحاكمة ٦٣

مرحبا ايها السجن ٧٥

المنفى ٨٥

هذا العربي الحزين ١٠١

ملف الوثائق ١١١

الشهادات ١١٣

الرسائل ١٢٣

اصداء الاتهام والمحاكمة في صحف العدو ١٥٩

الصور ١٧٣

« لن أوجه كلامي اليكم ، بل سأوجهه الى معلمي يسوع المسيح ، الذي في السماء ، والذي يبكي ما حل بالمدينة المقدسة مهد الديانتين الكبيرتين : المسيحية والاسلام .

واني اصلي من اجل الدولة الفلسطينية .

انني أقدس السلام ، واومن بالمحبة ، وعلى خطاك ستتقدس أرضنا هذه . الارض التي تحب والتي تدعى فلسطين .

يا معلمي ويا سيدي يسوع : انت النور الى العالم وهم الظلام . وليلحق العار بأولئك الذين شوهوا القدس .

انني أسير الغزاة البرابرة ، وضحية قوة الحكام » .

كبوشي

دار ابن رشد للطباعة والنشر
كورنيش المزرعة ـ بناية مومني ـ تلفون ٣١٨٧٦٨
بيروت ـ لبنان

الثمن ٩ ل.ل.